نهج الولاية ٤

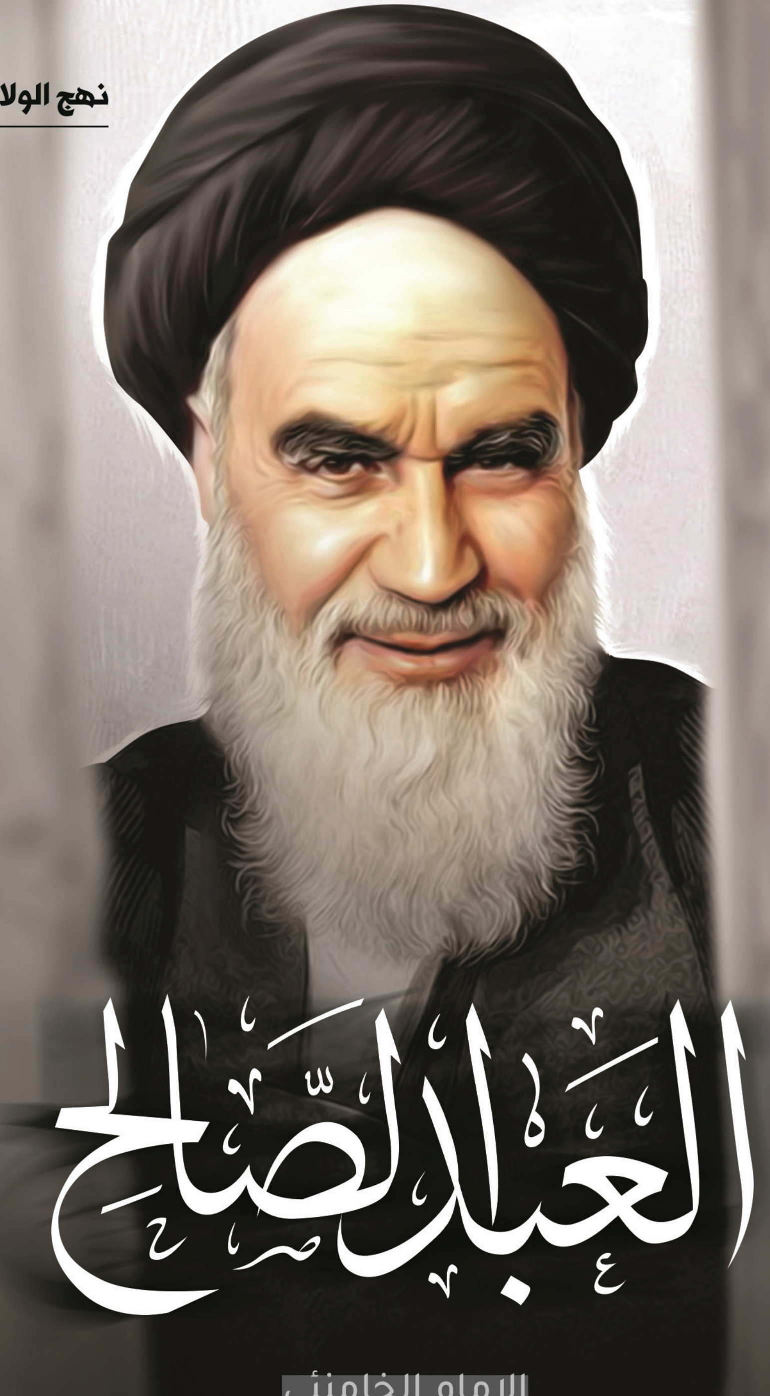

العبد الصالح

الإمام الخامنئي

صهبا

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الوفاء
للثقافة والإعلام

اسم الكتاب: العبد الصالح
تأليف: الإمام الخامنئي
ترجمة: ياسر طفيلي
نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام
الطبعة الأولى: أكتوبر٢٠٢٠ - ربيع الأول ١٤٤٢ هـ
البريد الالكتروني:
dar@al-wafa.net

الفهرس

الفصل الأوّل: النّهضة الإسلاميّة

كان الله معه ٩

الأستاذ الجذّاب والمحبوب ١٢

كالجبل........ ١٧

معلّم الأخلاق ١٨

الأعلم........ ٢١

واعٍ وجريء ٢٥

كالأب، شجاع ومقاتل ٢٨

سأجمع النّاس في صحراء قم!........ ٣٣

المضحّي........ ٣٩

كما الشّمس .. كما البركان ٤٢

ها هم يقتلون الطّلّاب في المدرسة الفيضيّة ٤٤

الغفلة عن وجود الإمام ٥٨

التّذكار الجميل ٦٣

من اليوم السّابع من محرّم ٦٦
إلقاء القبض على الإمام!........ ٧٤
نعم للرّمح وكلّا للغطرسة! ٨٧
وقعت عند قدمي الإمام!........ ٤٨
كلّما قمعتموني فهذا يصبّ في صالحي!........ ١٩
نفي الإمام ٩٣
كان بعيداً ولكنّه كان يقوم بتوجيه النّاس ٩٨
مطلب الحكومة الإسلاميّة ١٠١
لطف الله الخفيّ!........ ٥٠١
قضيّة مراسم الأربعين وقيادة الإمام الخميني ١١٢
أمّة لوحده ١١٨
القهوجي........ ١٢٣
من النّاس ومعتمدٌ على النّاس ١٢٦
القوّات الجويّة ١٣٠
صوت الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران ١٣٣

الفصل الثاني: النّظام الإسلامي

كالرّسل؛ قائد ورجل دولة، زاهد وعارف........ ١٣٩
سأل الإمام: هل تخشون أمريكا؟ ١٤٣
إذن الجبهة ١٥٢
اذهبوا وابحثوا حتّى تعثروا عليها ١٥٨

مواجهة الجبابرة الدوليّين ١٦١
تجسيد للطف والعاطفة ١٦٥
إمام الأمّة ١٦٨
زاهدٌ وعارف ١٧٣
نشكر الله أن عاصرنا الإمام الخميني ١٧٨
لقد أحيانا الإمام الخميني ١٨٢
الإمام الخميني حاضرٌ اليوم أيضاً ١٨٥

كان الله معه

هدفي هوأن أنقل لكم - وللشّباب على وجه الخصوص - تصوّري وفقاً لما شعرت به وما رأيته وما لمسته طوال الفترة التي كنت فيها تلميذاً ومتّبعاً لهذا الرّجل العظيم.

١٩٩٩/٠٦/٠٤

لقد كان الإمام [الخميني] شخصاً جذّاباً فعلاً، وكان يملك علماً وافراً في اختصاصات عديدة، ولم يكن ذو بُعد أو علم واحد. كان فيلسوفاً كبيراً، وعارفاً وفقيهاً كبيراً

وأصوليّاً[1] مميّزاً ومبدعاً وصاحب مدرسة. كان معلّماً للأخلاق.

كان في العرفان النّظري، وفي السّلوك العملي، وفي فقاهته على وجه الخصوص، شخصاً مميّزاً في زماننا. بالإضافة إلى أنّه كان أديباً، رفيع الذّوق، وصاحب حضور جميل و إنسان رؤوف رقيق القلب.

كان - للإنصاف - استثنائيّاً من حيث النّضج السّياسي والرّؤية السّياسيّة العميقة. لقد رأينا في الإمام حقيقةً ما يُقال: «ما يراه الشّاب في المرآة، قد رآه الكهل في الحجر»[2] ١٨/٠٩/١٩٩٩

طبعاً لا يجب أن نتصوّر أنّ الإمام كان إنساناً خارقاً للعادة، فنقول: «لقد كان إنساناً خارقاً للعادة، ولكن ما

١- عالماً بأصول الفقه

٢- كناية عن أنّ الكهل ناضج أكثر ويرى تبعات الأمور مسبقاً - المترجم

حالنـا نحـن؟!» كلّا، لـم يكـن الإمام إنسـاناً خارقاً للعادة وغيـر طبيعـيّ. كان إنسـاناً مثلنـا، ولكنّـه عَمل علـى بناء نفسـه وجاهدهـا: ﴿وَالَّذِينَ جاهَدوا فينا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحسِنينَ﴾[1] وهـل عناية الله مزحـة؟! قد يأتـي، فـي أحـد الأوقـات، شـخصٌ مهيـب وقـويّ ويقـول لشـخص آخـر: مـا دمت في هـذا الحـيّ فلا تخـف؛ لأنّني معك. سـيهدأ قلب ذلك الشّخص، وسيقول: الحمد لله، لـن يتهجّم علـيّ أحد بعـد الآن. من هو المدافـع والمرافق لهـذا الشّـخص؟ بشـريٌّ بطـول ١٨٠ أو ١٩٠ سـنتمتر مثـلاً، ضخـم قليلاً وقـويّ إلى حدّ ما! ولكن، وفـي أحد الأوقات، يقول الله، الّذي هو منشأ جميع القدرات في عالم الوجود: إذا كنت إنسـاناً جيّداً وتقيّاً، فأنا معك. حين يكون الله مع أحد ما، فسيُلقي أمريكا على الأرض، وسيُلقي الشّاه على الأرض، سـيزول تأثيـر السّـافاك وقـدرة جيش الشّـاه وقدرة

١- العنكبوت: ٦٩

أمريكا السّياسيّة. ١٩٩٤/٠٥/٢٥

إيّاكم وأن تظنّوا أنّ في هذا مبالغة! كلّا، إنّ ما أتحدّث عنه في هذا المجال هو عين الحقيقة؛ إنّ أيّاً من هذه الأمور لا تعني أنّ الإمام كان معصوماً، أو أنّه كان فوق البشر، كلّا. ١٩٩٩/٠٥/٢٩ أنا الآن أتحدّث عمّا وصلت إليه، عمّا شاهدناه من الإمام على مرّ ٣١ عام، إذ أنّنا عرفنا الإمام عن قرب. ١٩٩٩/٠٦/٠٤

الأستاذ الجذّاب والمحبوب

لا بدّ لي أن أذكر في حديثي حول معرفتي بالإمام، أنّني سافرت عام ١٩٥٧م إلى العتبات المقدّسة. حين وصلت إلى قم، بقيتُ فيها بضعة أيّام من أجل أن أحضر بعض الدّروس. في سفري ذاك، حضرت درس الإمام الخمينيّ، ولقد أُعجبت كثيراً من تجمّع الطلبة في

مسـجد سلماسـي[1] ودرسـه، إذ كان يجلـس على الأرض ويُلقي درسه.

كنت قد حضرت درس السّيّد الميلاني[2] أيضاً، حيث كان يلقي درسه من على المنبر على عدد أقلّ من الطّلّاب. طبعاً لم يكن من السّيّء أن يجلس الشّخص على المنبر؛ ولكـنّ حالـة الحمـاس والحيويّـة فـي الدّرس حيـث كان الأسـتاذ يتحـدّث بصوت عـال، والطّـلّاب يُشكِلون، من هذه الجهة ومِن تلك، كان أمراً جديداً جدّاً عليّ؛ ولم أكن قد رأيت هذا الشّـيء في درس السّيّد الميلاني. كان عدد الطّلبة الّذين يحضرون درس السّيّد الميلاني حوالي الـ٥٠ أو الـ٦٠ شخصاً.

١- يُعـدّ مسـجد سلماسـي من المسـاجد المشـهورة في مدينة قـم، ويقع قرب بيـت الإمام الخمينيّ

٢- آيـة الله محمّـد هادي الميلاني (١٨٩٥-١٩٧٥) مـن العلماء الكبار ومراجع التّقليد عند الشّـيعة حيث أمضى آخر٢٠ سـنة من حياته في مشـهد المقدّسـة. وكان الإمام الخامنئيّ أحد طلّابه

إن اختيار الأستاذ في الحوزات العلميّة غير إجباريّ، وكُلّ شخص حسب سليقته يختار أستاذاً. [١٩٩٩/٠٦/٠٤] عام ١٩٥٨م حين جئت إلى قم ناوياً الاستقرار فيها، [١٩٨٢/٠٦] كان يوجد أستاذٌ يشدّ الطّلّاب الشّباب والأفاضل والمجدّين والمُتلهّفين إلى نفسه من اللّحظة الأولى، وكان هذا الرّجل معروفاً آنذاك بين طلّابه باسم «السّيّد روح الله». [١٩٩٩/٠٦/٠٤]

كان الطّلّاب يحبّونه إلى حدّ كبير قَلّما وجدت له نظيراً في قم في العلاقة بين التلاميذ والأستاذ. في مشهد كذلك الأمر، صدقاً لم أر، قَلّما رأيت أستاذاً يحبّه تلامذته بهذا الشّكل. [١٩٨٢/٠٦]

وكانوا يعشقون الإمام من أعماق قلوبهم؛ يعشقون «السّيّد»، كان طلّابه يطلقون عليه اسم «السّيّد»، وكان التّعبير بـ«السّيّد» على إطلاق الكلمة[١] في قم يشير إليه.

١- أي حين يقول أحدهم كلمة «السّيّد» فقط، كان الجميع يعرف أنّ المقصود هو الإمام الخمينيّ

١٩٨٣/١٢/١٥

وكان في ذلك الوقت درسه أكثر الدروس اكتظاظاً في قم، لم يكن هناك درس - بعد درس السّيّد البروجردي[١] - مكتظّاً بدرجة اكتظاظ درسه. كان يشارك في درسه حوالي ٥٠٠ شخص تقريباً. بينما كان عدد المشاركين في الدّروس الأخرى ٤٠ أو ٥٠ كحدّ أقصى. ١٩٨٢/٠٦

كان السّيّد مصطفى[٢]، معروفاً أنّه أحد فضلاء قم المميّزين، وكان الجميع يعرف عنه أنّه شخص فاضل، كان في فترة من ذلك الزّمان، يشارك في درس الإمام الفقهي، وكان ممّن يُشكل في ذلك الدّرس. وكم كان لافتاً ورائعاً مشاهدة الأب والابن حيث الأب يجلس على مسند التّدريس يعطي دروساً لحوالي ٧٠٠-٨٠٠ أو ١٠٠٠

١- آية الله السّيد حسين الطّباطبائيّ البروجرديّ (١٨٧٥-١٩٦١م)، من العلماء الكبار ومراجع الشّيعة، وكان زعيم الحوزة العلميّة في قم لمدّة ١٧ عاما

٢- الحاج السّيّد مصطفى الخمينيّ (١٩٣٠-١٩٧٧م)، الابن الأكبر للإمام الخميني، وكان مجتهداً وفقيهاً من فقهاء الشّيعة ومن المناضلين خلال الثّورة الإسلاميّة

طالب ربّما، والابن يُعتبر واحداً من أكثر الطّلّاب تميّزاً في هذه الحوزة. وكما هي عادة حوزاتنا ودروسنا، يُشكل الطّلّاب على أستاذهم أثناء الدّرس ويذكر ما يخطر في عقله من مسائل إمّا كإشكال على كلام الأستاذ أو ككلام مؤيِّد لكلامه، ولكنّ الأغلب كان كإشكال، وأحياناً يطول الأخذ والرّد بين الأستاذ وتلميذه وأحياناً يشتدّ النّقاش. وكان هذا الأخذ والرّد الطّويل غالباً ما يحصل بين الإمام والسّيّد مصطفى.

كنت أجلس قريباً من السيد مصطفى في بعض الأحيان، وكنت أعلم متى يريد السّيّد مصطفى أن يُشكل؛ فإنّه حين يريد أن يُشكل، يجلس جلسة خاصّة على قدميه، كان يجلس في الخلف ويبدأ بالإشكال بصوت عالٍ. كان هذا مشهداً رائعاً وباعثاً للإثارة. ١٩٨٣/١٠/١٢

كالجبل

في أحد الأيّام، جاء العلّامة السّمنانيّ[1] إلى قم، فذهب جميع العلماء للقائه، وكان منهم الإمام الخمينيّ والسّيّد الطّباطبائي.

من شـدّة تلألأ وجه الإمام الخمينيّ وصلابته المعهودة التي تركت أثرها في ذهن العلّامة السّمنانيّ - وكان عالماً كهلاً - ظنّ أنّه العلّامة الطّباطبائيّ[2]؛ لأنّه كان قد قرأ «تفسير الميزان» و«أصول الفلسفة» وكان مطّلعاً على مقامه العلميّ والفلسفيّ، ظنّ أنّ تلك الصّورة الذّهنيّة الّتي صنعها عن كاتب تلك الكتب تتوافق مع طبيعة

١- آية الله محمّد صالح الحائري المازندراني (١٨٨١-١٩٧١م) المعروف بالعلّامة السّمنانيّ، من علماء الشّيعة الكبار الّذين كانوا فاعلين في النّضال ضدّ الحكومة البهلويّة أيضاً. كانت خطبه ضدّ رضاخان خلال فترة سلطة الغرباء سبباً لإلقاء القبض عليه ومن ثمّ نفيه إلى سمنان. وكانت فترة إقامته الطّويلة في سمنان سببا لشهرته باسم العلّامة السّمناني

٢- آية الله السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ (١٩٠٤-١٩٨١م)، المشهور بالعلّامة الطّباطبائيّ، من علماء الشّيعة الكبار، وكان فريداً وعلماً في تفسير القرآن والفلسفة الإسلاميّة

هذا الوجه وهذه الملامح.

وبدأ يخاطب الإمام الخميني بحرارة قائلاً: «أجل، قرأت كتابك، قرأت الميزان». لم يكن الإمام الخمينيّ شخصاً منفعلاً ليردّ فوراً، على نحو المثال: «غير صحيح! لست أنا» أو أن يخجل من أنّه الآن يُخطئ، لم يكن هكذا إنسان أبداً. كان جالساً كالجبل يستمع إليه.

كان السّيّد الطّباطبائي جالساً أمامه كذلك الأمر، ورأى أنّ العلّامة السّمنانيّ يخطئ. ومن أجل أن لا يستمرّ خطؤه، نظر إلى العلّامة السّمنانيّ، وقال: «أنا الطّباطبائيّ؛ وهو أستاذي، السّيّد الخميني». ١٩٨٢/٠٦

معلّم الأخلاق

سمعنا أنّ هذا الرّجل هو معلّم للأخلاق أيضاً، ١٩٩٩/٠٦/٠٤ حين دخلت إلى قم، كان درسه في الأخلاق متوقّفاً، كان درسه قد توقّف منذ سنوات ولم يكن يدرّس الأخلاق؛ كما

أنّه لم يكن يدرّس الفلسفة، كان قد أوقف تدريسها، وكان لديه درساً في الفقه ودرساً في الأصول فقط. ولكنّه كان أحياناً خلال الدّرس ولمناسبة معيّنة يتطرّق إلى بحث أخلاقيّ، فيضجّ المجلس؛ كان الطّلّاب يبكون، ويتحوّل كلّ شيء في قلب الإنسان.

لقد نلت التّوفيق عدّة مرّات، أثناء بضعة الأعوام الّتي شاركت فيها في درسه، بأن يبدأ الدّرس، في بداية العام الدّراسيّ، أو نهايته، أو وسطه، بكلام أخلاقيّ. عادة ما يقوم الأساتذة في بداية العام الدّراسي وفي نهايته بتوجيه النّصائح والتّوصيات للطّلّاب؛ كان هذا الأمر، من خلال توضيحه اللّطيف والرّقيق والمُسهب، يتحوّل إلى درس أخلاق جذّاب، يقلب حال قلوب الطّلبة. كان حقّاً يعصف بقلوب الطّلّاب.

حسناً، كانت طريقته تحكي عن روح الأخلاق

الإسلاميّة؛ عدم المبالاة بالدّنيا، عدم الاعتناء بزخارفها، عدم الاعتناء بمظاهر الحياة وكماليّاتها وبالألقاب والأسماء.

كان الطلّاب - على سبيل المثال - يصرّون عليه بأن يجلس على المنبر؛ لم يكن يجلس على المنبر، بل على الأرض. واستمرّ الأمر إلى ما بعد وفاة السّيّد البروجردي، حيث ألحّ عليه الطّلبة، فجلس على المنبر.

في أوّل يوم جلس فيه على المنبر، كان الأمر مشوّقاً للطّلبة ورحّبوا بهذه المسألة بالابتسامات والضّحك. حين جلس على المنبر، كان هذا جديداً عليهم، ولذلك أخذوا بالضّحك.

بدأ درسه بهذا الشّكل، قائلاً:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، في اليوم الأوّل الّذي جلس

فيه المرحوم آية الله الشّيخ محمّد حسين النّائيني[1] على المنبر، بكى وقال أهذا هو نفس المنبر الّذي كان يجلس عليه الشّيخ مرتضى الأنصاري[2]، الّذي كان يجلس عليه أفاضل القوم؛ وقد وصل الأمر بأن أجلس أنا عليه أيضاً. وعلينا اليوم أن نبكي؛ لأنّ الأمر وصل بنا إلى هنا.

وقد جعل هذا مقدّمة لبحث أخلاقي، انقلبت به القلوب، ولا أنساه أبداً.

كانت لديه تعابير لطيفة ورقيقة في المسائل العرفانيّة والأخلاقيّة ينقلب بها حال الطّلبة. ١٩٨٢/٠٦

الأعلم

كان حقّاً رجلاً مهذّباً لنفسه، عفيفاً ومحتاطاً. لم نكن في ذلك الوقت مطّلعين على حياته الشّخصيّة ولا ناظرين

١- آية الله محمّد حسين النّائيني (١٨٦٠-١٩٣٦م) من علماء الشّيعة الكبار ومراجع التّقليد

٢- آية الله مرتضى الأنصاري (١٧٨١-١٨٦٤م) من علماء الشّيعة الكبار ومراجع التّقليد

وواقفين عليها عن قرب؛ ولكن المقدار الّذي كان يكشفه عن شخصيّته كان يُظهر لنا هذا؛ العفّة والصّفاء وعدم الاعتناء بالمظاهر الّتي تشدّ الجميع نحوها. لم يكن أبداً ممّن يعمل على جمع المريدين والنّاس حوله. ١٩٨٢/٠٦

لقد قال لي المرحوم آية الله الميرزا جواد آغا الطّهراني[١] والّذي كان - منذ ما يقارب الثّلاثين عاماً - من العلماء المتديّنين جدّاً، الزّاهدين والمخلصين، والمعروفين جدّاً في مشهد: «ذهبت في شبابي إلى قم من أجل الدّراسة، ورأيت حينها الإمام في الحرم المطهّر. لم أكن أعرف من يكون؛ رأيت سيّداً شابّاً ونورانيّاً يقف في الحرم، قد حَنَّكَ عمامته[٢]، يصلّي ويبكي ويتضرّع».

كان الحاج ميرزا جواد آغا الطّهراني يقول: «مع أنّني لم

١- آية الله الميرزا جواد آغا الطّهراني (١٩٠٤-١٩٨٩م) من علماء الشّيعة، وكان من أساتذة الأخلاق المعروفين في الحوزة العلميّة في مشهد

٢- أرخى طرفها وجعله حول رقبته - المترجم

أكن أعرف من يكون، انجذبت إليه. فسألت بعضهم: من يكون هذا السّيّد النّورانيّ؟ فأجابوا: هذا السّيّد روح الله الخمينيّ». ١٩٩٥/١٢/٠٧

توفّي مرجع التّقليد آية الله السّيّد البروجردي عام ١٩٤١م. طُرح اسم الكثير من المراجع الكبار آنذاك، وكان أصحابهم يروّجون لهم. وهنا كان المشهد الّذي يثبت فيه هذا الإمام العظيم أنّ درس الأخلاق الّذي كان يُلقيه لم يكن فقط كلاماً وبقصد تعليم الآخرين، بل كان هو أوّل عامل بدروس تهذيب النّفس. رأى الجميع، وعرفوا وآمنوا أنّ هذا الرّجل غير ملتفت إلى هذا المقام وإلى طرح اسمه للزّعامة، حتّى ولو كانت هذه المرجعيّة زعامة روحيّة ومعنويّة، وأنّه لا يقوم بأدنى جهد من أجل الوصول إلى مركز أو منصب أو مقام أو صيت؛ بل حتّى لو أراد الآخرون السّعي لطرح اسمه، فقد كان يمنعهم إلى الحدّ

الّذي كان يقدر عليه، ١٩٩٩/٠٦/٠٤ لقد كنت أنا أحد الّذين طرحوا عليه موضوع المرجعيّة. ولكنّه لم يجب آنذاك، وقال فقط: السّادة موجودون. ١٩٩٤/١٢/١٤

على أيّ حال، فإنّ اعتقادي هو أنّ الإمام كان أعلم من كافّة الفقهاء أصحاب المراتب الرفيعة في عصره. ١٩٩٤/٠٥/٢٥ وما أقوله يستند إلى أنّني عاصرت جميع فقهاء زماننا، ودرست عندهم؛ لقد حضرت دروس كلّ الفقهاء الّذين تعرفونهم، إلّا ما شذّ منهم وما ندر، واعتقادي هو أنّ الإمام هو الأعلم، أي هو أفقه منهم. ١٩٨١/١٢/٢٠

إنّ كلّ هذا الّذي سمعته عنه، بالإضافة إلى ما كنت قد رأيته وعرفته، زرع بداخلي تعلّقاً قويّاً به وكانت محبّته في قلوبنا تزداد يوماً بعد يوم إلى أن بدأت المواجهات. ١٩٨٢/٠٦

واعٍ وجريء

بعد مرور سنة ونصف تقريباً على وفاة آية الله البروجردي، انطلقت النّهضة الإسلاميّة. ومع انتهاء عام ١٩٦٢م وبداية عام ١٩٦٣م بدأ يظهر لنا بُعد جديد من شخصيّته، وهو توقّد الذّهن والذّكاء الثّاقب والالتفات إلى مسائل قلّما كان يتمّ الالتفات إليها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حميّته الدّينيّة.

سمع كثيرون عن مرسوم قرار الحكومة في ذلك الزّمان بشأن حذف شرط الإسلام والقسم بالقرآن للفائزين في الانتخابات؛ ولكنّهم لم يلتفتوا إلى مدى أهمّيّة هذا الأمر.(١)

١- في تشرين الأوّل من عام ١٩٦٢م، قُدّمت لائحة تمّ إقرارها في مجلس الوزراء تحت اسم لائحة مجالس الأقاليم والولايات. وقد جاء في نصّ هذه اللّائحة حذف شرط الإسلام من شروط المُنتَخِبين والمرشّحين، واستبدال القرآن في مراسم التّحليف بلفظة «الكتاب السّماوي». كان النّظام البهلويّ يسعى عبر هذه اللّائحة إلى سلب الأهمّيّة عن المذهب الرّسميّ للبلاد وإلى التّخلّي عنه في نهاية المطاف

لم يدرك أحد هذا الأمر، ولكنّ الإمام أدركه ووقف ضدّه. لقد فرضت عليه حميّته الدّينيّة بأن يتصدّى في هذه المسألة، ويبدأ نضاله من هذه الزّاوية الّتي كانت تبدو صغيرة في مواجهتها للإسلام، وقد فعل هذا.[١٩٩٩/٠٦/٠٤]

لقد اكتشفنا الوجه السّياسيّ للإمام الخمينيّ لأوّل مرّة. إنّ ما كان مهمّاً إلى حدّ كبير في عمله، أنّه كان واضحاً أنّ هذا الرّجل يمتلك وعياً سياسيّاً وكذلك جرأة سياسيّة؛ ولم يجتمع هذان الأمران في أحد من العلماء ورجال الدّين. كان هناك من يمتلك الجرأة السّياسيّة. كان لدينا علماءً يطلقون تصريحات جريئة ضدّ النّظام في زمن الخناق؛ ولكنّهم كانوا يتكلّمون بكلام خال من الوعي السياسيّ، وبشكل غير منضبط، بحيث لم يكن كلامهم يجذب أيّ شخص عاقل. وكان هناك أشخاص يملكون الوعي السّياسيّ، ولكنّهم كانوا يفقدون الجرأة

السّياسيّة.

كانت هاتان الخصلتان مجتمعتان في تلك الأيّام فقط في الإمام الخمينيّ؛ لم يكن أيّ عالم غيره يمتلكها. كان من الممكن أن يمتلك طالبٌ ما هاتين الخصلتين، أو عالم ذا شأنيّة بين مجموعة ما. ولكنّه كان مرجع تقليد، أي كان يصل إلى حد المرجعيّة، حيث كان لديه الكثير من التّلاميذ في جميع إيران ممّن يُعدّون من العلماء والفضلاء والمعروفين والمؤثّرين على أذهان النّاس، وكان درسه في حوزة قم يُعدّ من أكبر الدّروس، وكان هناك من النّاس من يقلّده. لقد كانت مثل هذه الشخصيّة العلميّة المقبولة التي لا غبار عليها تمتلك هاتين الخصلتين؛ الوعي السّياسيّ والجرأة السّياسيّة. ١٩٨٢/٠٦

هناك نقطة مهمّة فيما يخصّ هذا الأمر؛ لم يكن الإمام عظيم الشأن يريد حتّى أن يكون في واجهة ساحة

النّضـال. لقد ذكرلنا بنفسـه أنّه في بدايـات أيّام النّهضة، كان يتحـدّث مـع أحـد المراجـع المعروفين آنـذاك وممّن كان معـه فـي مرحلته الدّراسـيّة، في منـزل المرحوم آية الله الحائريّ[1]، وقال له: أنت تقدّم، ونحن نمشي خلفك. كان مـا يريـده الإمام هـو أن يتمّ أداء التّكليـف، وأن يقوم بتلك الفريضة الّتي كان يشـعر بثقلها علـى كتفيه؛ أمّا التّصدّي فلـم يكـن مطروحـاً لديه. ولكـن بالطّبع، لم يكـن الآخرون يمتلكـون تلـك القـوّة والجـرأة للدّخول في هـذا الميدان، ولـم يصلوا إلى مسـتوى الإمـام. ولذلك جرى الأمر بشـكل طبيعـيّ على أن يسـتلم الإمام قيادة هـذه الحركة؛ وبدأ هو بالنّضال. ١٩٩٩/٠٦/٠٤

كالأب، شجاع ومقاتل

أوّل إعـلان نشـرلـه كان تلغرافـاً يُخاطـب فيـه «عَلَم»[2]

١- آية الله مرتضى الحائري اليزدي (١٩١٦-١٩٨٦م) من العلماء الشّيعة، وكان والده هو آية الله عبد الكريم الحائري اليزدي مؤسّس الحوزة العلميّة في قم

٢- كان «عَلَم» في ذلك اليوم رئيساً للوزراء

حـول مجالـس الأقاليم والولايـات وتلـك اللوائح. دخلت إلى مدرسـة الحجّتيّة، فرأيـت إعلانه ملصقاً على الجدار؛ قـرأت الإعـلان. إمّـا أنّـي قـد سـجدت، أو شـعرت أنّنـي أسـجد؛ لأنّني رأيت أنّ شـخصيّة علمائيّـة عظيمة، ذات عود صلب، قويّة ومقتدرة قد وُجدت.[١٩٨٢/٠٦]

فجـأة رأيت شـخصاً يقول لرئيـس وزراء البـلاد: إذا كـان عندك استفسار، فلتأتِ إلى قم وتجثو على ركبتيك حتّى يخبـرك العلمـاء ويُفهمـوك أين هو الإشـكال الشّـرعي في هذا المرسوم، إذ أنّك تقول: «لا إشكال شرعي فيه».[١٩٨٢/٠٦]

لقـد شـعرنا فـي الحقيقة أنّ ذلك الشّـخص قـادر على إشـباعنا مـن النّاحية الفكريّـة والرّوحيّة، هـو فقط ولا أحد غيـره. ولـذا، ومنـذ السّـاعات الأولـى للنّضـال، اجتمعنـا حولـه، واتّفقنـا علـى أن نعمـل ونتحـرّك بما يخـدم خطّه. فطبعنـا الإعلانات، وقمنا بتأمين جهاز للطّباعة والنّسخ

في قم، وشكّلنا مجموعة، وبدأنا نسخ الإعلانات وأخذها إلى طهران، وإعادة ما يتبقى منها إلى قم. كان الجلوس مع بعض الأشخاص والنّقاش من أعمالنا المعتادة في هذا السّبيل. ١٩٨٢/٠٦

كنّا من مريدي الإمام وتلامذته. إذا أرادوا تقسيم الطّلّاب في قم حسب العلماء والمراجع العظام لجعلونا في قسم الإمام الخمينيّ؛ كان الأمر واضحاً جدّاً وكان الجميع يعرفه. كنّا هكذا؛ ولكنّنا قبل هذا، كنّا نعرف الإمام الخمينيّ على أنّه عالم عظيم، يليق بالمرجعيّة، متديّن، تقيّ، عارف، هكذا كنّا نعرفه. وفجأة، رأينا أوّلاً، في هذه القضايا، كم أنّ كتاباته محكمة وجميلة؛ بسيطة، يفهمها الجميع، وقويّة في نفس الوقت. ثانياً، أنّه شخص سياسيّ، ويُدرك أبعاد المسائل السّياسيّة. ثالثاً، أنّه قويّ جدّا حيث أنّنا لم نكن قد رأينا هذه الشّجاعة فيه من

قبل، ولم نكن نعلم أنّه شجاع إلى هذا الحدّ ويمتلك قدرة المواجهة هذه، كان شجاعته إرثاً ورثه عن أبيه، فلقد كان أبوه[1] شخصاً شجاعاً ومقاتلًا، وكانت الشّجاعة تتجلّى في حركاته أيضاً. ١٩٨٢/٠٦

كان يتمّ فضح كثير من الأمور في إعلاناته، وتتّضح كثير من الحقائق. حين كان أحد ما يقرأ تلك الإعلانات، كان حقّاً يشعر بالخطر إزاء ما يحدث.

في الشّهرين الّذين استمرّت فيهما حركة مجالس الأقاليم والولايات، جئنا إلى طهران مرّة أو مرّتين أو عدّة مرّات، إلى مكان وعظ الشّيخ فلسفي[2]، ١٩٨٢/٠٦ سلّمنا الشّيخ فلسفيّ رسالة من الإمام حول مجالس الأقاليم

١- الشّهيد السّيّد مصطفى الموسويّ (١٨٦٢-١٩٠٣) والد الإمام الخمينيّ، كان ضدّ الظّلم والإضطهاد الّذي يمارسه نظام الإقطاعيّة، وقد استشهد أثناء مواجهته لإثنين من زعماء خمين

٢- حجّة الإسلام محمّد تقي فلسفيّ (١٩٠٨-١٩٩٨) كان من علماء الشّيعة، ومتبحّرا وأستاذا في الخطابة والمواعظ وأكثر الخطباء شهرة في ذلك الزّمن

والولايات، وقد قرأ الشّيخ فلسفيّ تلك الرّسالة في مسجد آرك. كنت في مسجد آرك حيث كان العلماء قد كتبوا بضع رسائل؛ آية الله الكلبايكاني، شريعتمدار، النّجفي، والإمام الخمينيّ. كانوا أربعتهم قد كتبوا رسائل.

قرأ الشّيخ فلسفيّ رسائل العلماء الثّلاثة أوّلاً. وحين وصل الدّور إلى رسالة الإمام الخمينيّ، قال: «وأمّا رسالة آية الله الخمينيّ» فأعدّ النّاس أنفسهم للإنصات بكامل وجودهم، وكانوا متحمّسين. هكذا كان اسم الإمام الخمينيّ يحفّز النّاس حين ذكره. قرأ الرّسالة. وفي آخر الرّسالة كان قد كتب ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾[1]؛ كان قد كتب السّورة كاملة. وقد كان النّاس متحمّسين جدّاً إلى حدّ أنّهم وحين قراءة الشّيخ فلسفيّ: «بأصحاب الفيل» كان جميع النّاس يقولون معه: «الفيل».

١- الفيل: ١

﴿أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ﴾[1] فيقول النّاس جميعاً مع بعضهم البعض «تضليل»؛ أي: أنّ هذه الرّسالة قد جعلت النّاس في مسجد آرك في حالة من الإنشاد الجماعيّ، وكان الأمر حماسيّاً. ١٩٨٢/٠٨

سأجمع النّاس في صحراء قم!

كان الأمر الحسن العظيم في الإمام وإحدى أعظم إنجازاته، هو كشفه لقدرة العلماء والمرجعيّة. كان يعلم ما يمكن أن تفعله إشارة من العالم، ولقد استفاد من هذه القدرة بأكبر صورة ممكنة. لم يكن الآخرون يستفيدون منها. كان دائماً ما يحاول إقناعهم أن: «قولوا، تقدّموا، تحرّكوا، وسيأتي النّاس خلفكم» لقد سمعنا هذا من الإمام مراراً أثناء لقاءات وحوارات خاصّة حيث كان الإمام يقول هذا، وكنّا نسمع كيف كان الإمام يخاطبهم ويصرّ عليهم

١- الفيل: ٢

بأن: «تقدّموا، وانظروا هل سيأتي النّاس أم لا!». [١٩٨٢/٠٨]

كان هناك وعد من النّظام، من خلال الرّسائل والحوارات والأقوال، أنّ مرسوم القرار سيتمّ إلغاؤه. فهدأت شعلة الحركة قليلاً في قم. بعد مرور عدّة أيّام، جاء عدد من التجّار إلى درس الإمام في المسجد الأعظم في قم، [١٩٨٩/٠٦/٠٢] كنت في الدّرس حينما جاؤوا؛ جاء السّيّد محمود الطباطبائي، الّذي هو ابن أخ المرحوم السّيّد حسين الطباطبائي القمّي. جاء إلى درس الإمام الخمينيّ مع عدد من تجّار قم، وجلسوا في زاوية. بعد أن انتهى الدّرس، وقفوا وقالوا: إلى متى تريد البقاء ساكتاً؟ فلقد كان إلغاء مرسوم القرار قد تأخّر، وهذا كان يقلق النّاس والعلماء؛ قالوا: نحن حاضرون، نحن التجّار حاضرون أن نفعل أيّ شيء تقوله، أن نضحّي بأيّ شيء تطلبه، [١٩٨٢/٠٩] وكأنّ الإمام كان ينتظر بأن يأتوا ويطلبوا هذا الأمر. لربّما

كانـوا قد أخذوا سـابقاً إذناً من الإمام لقيامهـم بهذا الفعل. فخطب خطبة مفصّلة في ذلك اليوم. ومن الكلمات الّتي خاطـب بهـا الدّولـة الغاصبة فـي ذلك اليوم فـي خطبته، كانـت هـذه الجملـة حيث قـال: «إذا كنتـم لا تصدّقون أو لا تقبلـون أو لسـتم جاهزيـن أن تطيعـوا، فسـنقول للنّاس أن يأتوا، وسـنملأ صحراء قم هذه بالجموع، لتشـاهدوا من يناصر النّاس».

أشـار مجدّداً بهذا الشّـكل إلى صحاري قم، وقال: هذه صحـراء قم، صحـراء قم الّتي لا نهاية لها. سـنجمع النّاس ليأتوا إليها.

كان الإمـام يتكلّـم باقتـدار وبثقة بنفسـه إلـى حدّ جعل بعـض النّـاس تتعجّـب؛ أيّ نـاس؟ مـن سـيأتي ليشـارك فـي مواجهة صعبة وخطيرة؟ وبهـذا الحجم العظيم الّذي تتحدّث عنه؟! ١٩٨٩/٠٦/٠٢

حتّى نحن الّذين كنّا في خدمة الإمام، والّذين كنّا قد شعرنا بذلك النّفس المتّقد في داخلنا ولمسناه، لم نكن نستوعب أيّ أناس يقوم الإمام بدعوتهم، وبأيّ حركة شعبيّة عظيمة يتفائل؟ كان هناك كثير ممّن لم يكونوا يستوعبون ذلك أيضاً. ربّما يمكنني أن أقول: إنّ الأعم الأغلب لم يكونوا يشعرون بحدوث ذلك اليوم. لم نكن حتّى ذلك اليوم قد رأينا حضوراً ومشاركة للنّاس في ميادين الجهاد والنّضال. ١٩٨٤/٠٨/٠٣

أنا لا أنسى في فترة المراهقة، بل حتّى الطّفولة، إذ كنت قد تعمّمت منذ طفولتي، فلقد عمّموني منذ أن خرجت من المدرسة. فمنذ المراهقة وحتّى الشّباب وفترة مكوثي في قم وبعد قم، وحتّى بدء المواجهات، كنت دائماً أرى في الشّوارع والمعابر والمجمّعات ومحطّات القطار أو المطارات، أي: أيّ مكان يجتمع فيه بعض من النّاس،

كيف يكون العالم أو المعمّم، وبمجرّد أن يدخل المعمم، يكون عرضة للسّخرية من قِبل الشّباب وبعض النّاس، عبثاً ومن دون أيّ سبب. [١٩٨٧/١٢/٠٢] ولكنّ الإمام كان متفائلاً، كان متفائلاً بالنّاس إلى الحدّ الّذي كان يشعر فيه أنّه إذا دعى النّاس في صلاة عامّة إلى ميدان المواجهة مع الجهاز الحاكم فسيأتي النّاس وستكون التجمّعات كبيرة بحيث لا تكفيها مدينة قم وشوارعها وأزقّتها وساحاتها، بل سيكون عليه دعوتها إلى صحاري قم الّتي لا نهاية لها حتّى يكون مركزاً لاجتماعهم؛ ولقد أثبتت التّجربة أنّ الحقّ كان مع هذا الرّجل البصير والحكيم المُبصر. كان يعرف النّاس والإنسان وعباد الله بشكل جيّد. وكما كان الأنبياء والأولياء وأصفياء الله يخاطبون النّاس دائماً ويتكلّمون معهم؛ وكان النّاس، بالمناسبة، يستجيبون لهم ويسمعون كلامهم ويؤيّدونهم فيما يقولونه. [١٩٨٤/٠٨/٠٣]

على أيّ حال، فلقد كان حديثه هو أنّ هذه مخالفة للشّرع، ومخالفة للإسلام، ويجب أن يتمّ إلغاء هذه اللّوائح الثّلاثة. كان يقوم باختبار قوّة، ولقد ردّ عليهم بخطبة قويّة، وإعلان شديد اللهجة، كما ساعد آخرون في هذا الأمر واستجاب النّاس. ١٩٨٢/٠٦ بعد شهرين، تمّ إلغاء مرسوم القرار. كان الجميع سعداء وقد ذُكر هذا الأمر في صفحات الجرائد في قم. عند مخرج الزّقاق المؤدّي إلى الحرم قرب مدرسة الحجّتيّة، كان هناك بائعاً للصّحف؛ أي: كان هناك محلّاً لعطّار في مقابل الزّقاق يبيع الصّحف أيضاً، وكان يعرض ظهراً أو عصراً الصّحف للبيع. كنّا نمرّ من هناك حين نظرنا إلى عناوين الصّحف. فرأينا أنّهم قد أعلنوا عن ذلك ونشروه. وصل أثناء ذلك الشباب، فقال شباب قم: نبارك لكم يا سيّد! كان الجميع سعداء من أنّ النّتيجة كانت النّصر. ١٩٨٢/٠٩

بعدها جاءت قضيّة الاستفتاء، استفتاء الشّاه واللّوائح السداسيّة[1]. عندما وقعت قضيّة اللوائح والاستفتاء، أصبحت أبعاد القضيّة أوسع؛ أي: أنّ الشّاه قد بدأ فعليّاً بالدّخول في مضمار وضع القوانين المخالفة للشّرع والتّي كانت تستبطن جذوراً استعماريّة أيضاً. ١٩٨٢/٠٦

كانت المشاريع - الّتي يطلقون عليها اسم إصلاحيّة - الّتي يقدّمها الشّاه مشاريع أمريكيّة ومن كندي؛ الرّئيس الأمريكي آنذاك. كانت «إصلاحات الأراضي» و«حريّة المرأة» المزعومان من مشاريعهم؛ كان الأمريكيّون يعوّلون كثيراً على إيران. ١٩٨٥/١١/٠٣

طبعاً أنا لا أعلم كم كان الإمام آنذاك ناظراً إلى جذور

١- بعد ابطال لائحة مجالس الأقاليم والولايات، زاد ضغط أمريكا على إيران من أجل القيام بإصلاحات غربيّة. ولذا قام الشّاه في ١٩٦٣/٠٢/٠٨ بالإعلان عن أصول الإصلاحات السّداسيّة الّتي كانت مدّ نظر أمريكا وأطلق عليها اسم «الثّورة البيضاء» وطلب إجراء استفتاء عليها

هـذا المشروع الاستعماريّة. إنّ ما يظهر من البيانات هو كون جذورها غير إسلاميّة، وهذا ما دفع الإمام للمواجهة والصّدام. كان مطّلعاً حتماً على الجانب الأمريكيّ في هذه الأطروحات؛ ولكن كم كان هذا مهمّاً ومحفّزاً بالنّسبة له، فهذا ما لا أستطيع توضيحه الآن. ولكن يمكن الاستنتاج أنّه في المجموع كان إنساناً معارضاً في هذا المجال، كما كان معارضاً لسياسات الهيمنة الخارجيّة؛ وكم كان ثاقب النّظر وحكيماً في تعامله مع هذه المسألة، فهذا أمر يجلب لي الحيرة.

على أيّ حال، عندما طُرحت قضيّة الإستفتاء، كان قد قرّر معارضته، وقال: هذا مخالف للشّرع، مخالف للقانون، وهي قوانين مفروضة على الشّعب. ١٩٨٢/٠٦

يجب أن أذكر هذا الأمر كذلك، أنّه في اليوم الّذي بدأت فيه هذه المواجهة، لم يكن مطّلعاً على أبعاد هذا

الأمر؛ هذا ما كان نفس الإمام قد صرّح به لاحقاً؛ قال: «لقد واجهنا هذه القضيّة بشكل بسيط، وبعد أن دخلنا فعليّاً في القضيّة رأينا الخطط والخدع والمؤامرات الّتي كانت تُحاك». ١٩٨٢/٠٦

عندما يريد إنسانٌ ما أن يدخل في ساحة ما أحد أطرافها السّلطات والقوى العسكريّة والأمنيّة والتّعذيب الأليم، حيث لا يراعون الضّمير والدّين، ويخضعون لدعم السّياسات العالميّة والاستكباريّة؛ إنّ أوّل شرط للدّخول في هكذا ساحة هو أن يضحّي الإنسان بروحه، ولقد سلّم الإمام روحه، وكان حاضراً لقبول كافّة المخاطر؛ أي: لم تكن لروحه وما يمتلكه أهمّيّة بالنّسبة له. لقد وضع الإمام روحه على كفّه بالفعل، وكان جاهزاً ودخل إلى السّاحة:

«يكفي أن يتخلّى رجل سماويّ عن روحه ليستنهض جيشاً بأكمله

فهو يسلّم روحه لرصاصة ويُخلّص بلاداً بأكملها من الشؤم والعار» ١٩٩٩/١٠/٠١

كما الشّمس .. كما البركان

عام ١٩٦٣، أي: العام الثّاني على المواجهة، كان عام السّطوة والضّغوطات والقتل. وقد سطع الإمام كالشّمس في سماء أمل الشّعب الإيرانيّ؛ كان شخصاً مضحّياً وبركاناً عندما كان ينبغي له أن يكون كذلك، شخص تجتمع فيه جميع المشاعر المطلوبة لرجل عالميّ، لرجل وطنيّ، لرجل إسلاميّ. ١٩٩٩/٠٦/٠٤

حوالي ٢٢ آذار، حصلت عدّة أمور؛ أحدها كان إعلان الإمام الخمينيّ أنّه لا عيد لنا، أنّه لا عيد لنا هذه السّنة، وقد انتشر هذا الأمر بشكل واسع. أعلن أنّه لا عيد لنا بينما هم يضربون العلماء، يضربون آية الله الخوانساري[1]،

١- آية الله السّيّد أحمد الخوانساري (١٨٩١-١٩٨٤) من علماء الشّيعة الكبار، وقد وصل إلى المرجعيّة بعد وفاة آية الله البروجردي. كان يسكن في طهران. وقد تمّت إهانته في

ويهاجمـون النّـاس، بينمـا تحصـل كلّ هـذه المصائب، وتُبدّل أحكام الإسلام؛ نحن لا عيد لنا.

أنـا أذكـر أنّنـا كنّا من الأشـخاص الّذيـن قرّرنـا أن يلبس الطّلبـة لباسـا أسـود، أن يلبسـوا قميصـاً أو عباءة سـوداء. ذهبنـا وخِطنـا لباسـا أسـوداً. لـم نكـن نملـك مـالاً لكـي نخيط عباءات سـوداء؛ فخِطنا قمصاناً سود. وفجأة رأينا، أنّه وخلال أيّام قليلة، قد انتشـر اللّباس الأسـود في قم إلى حـدّ أنّك لو نظرت إلى أيّ عالم أو طالب علم لرأيت عليه لباسـا أسـوداً. أذكر أنّنا لم يهنأ لنا بال في تلك الأيّام أبداً، ولم نكن نعرف أبداً متى يكون طعام الغداء والعشاء، إذ كنّا دائمـاً نتحرّك ونقوم بالإتّصالات؛ لكي نكون حاضرين في ٢١ و٢٢ و٢٣ آذار - أي فـي هـذه الأيّـام الّتي يأتي فيها الزوّار من طهـران ومن غيرها من الأماكن وبالأخص الطهرانيون،

سوق طهران بسبب مخالفته لإصلاحات الأراضي.

وأن نستفيد أقصى الاستفادة من حضورهم وأن نظهر لهم باللّباس الأسود.

طبعنا المنشورات، كنّا قد نسخنا منها عدداً كبيراً، وكنّا نرميها. كنّا نرمي المنشورات الّتي تقول أنّه لا عيد لنا في السّاحات، نرمي كثيراً منها في أماكن التّجمّعات في الهواء؛ لقد كنت شاهدا على كلّ هذا.

ها هم يقتلون الطّلّاب في المدرسة الفيضيّة

في ٢٢ آذار، كنت في المدرسة الحجّتيّة. عصر ذلك اليوم، كنت أريد أن أجهّز نفسي للذّهاب ، فرأيت السيّد جعفر شبيري الزّنجاني[١] قد جاء إلى غرفتي في المدرسة الحجّتيّة، وقال: ألن تأتي إلى المدرسة الفيضيّة؟

فسألته: بلى، كنت أجهّز نفسي لأذهب إلى هناك.

١- آية الله السّيّد جعفر شبيري الزّنجاني، من تلامذة آية الله مرتضى الحائري، ومن زملاء دراسة آية الله الخامنئيّ

فقال: إذا فلنذهب سويّة.

لبسنا، واتّجهنا نحو المدرسة الفيضيّة حيث كان هناك مجلس عزاء يقيمه السيّد الكلبايكاني[1]. عند خروجنا من المدرسة الحجّتيّة، يمكن لنا الذّهاب إلى صحن الحرم من داخل الزّقاق، وهناك طريق أقصروهو زقاق الحرم. ومن أجل أن نصل أسرع إلى الصّحن ومنه إلى المدرسة الفيضيّة ذهبنا من زقاق الحرم. عندما وصلنا إلى آخر زقاق الحرم رأيت فجأة عدداً من الطّلبة يأتون متفرّقين؛ أحدهم يحمل عمامته، وآخربدون نعليه، وآخر يحمل عباءته تحت إبطه، وهم يهربون ويخرجون من الصّحن، ويدخلون إلى زقاق الحرم، ولا يذهبون حتّى باتّجاه الشّارع. وهكذا ظهرت جموع الطّلبة، مثلاً ٢٠ شخصاً، ١٥، متفرّقين، كانوا يدخلون في زقاق الحرم.

١- آية الله السّيّد محمّد رضا الكلبايكاني (١٨٩٩-١٩٩٣) من علماء الشّيعة الكبار. وصل إلى مقام المرجعيّة بعد وفاة آية الله البروجردي، وكان يسكن في قم

عندما وصلوا إلينا، كان كلّ منهم يقول شيئاً: عودوا! الوضع خطير! لا تتقدّموا.

لم نعرف لماذا خطر، وفي النّهاية قام اثنان بإيقافنا، وقالوا لنا: إلى أين تذهبون؟

قلنا: إلى المدرسة الفيضيّة.

قالوا: لا تذهبوا إلى المدرسة الفيضيّة، المدرسة الفيضيّة خطرة، ها هم يقتلون الطّلّاب في المدرسة الفيضيّة[1]، إنّهم ينكّلون بطلبة العلم!

قلت للسّيّد جعفر: يا سيّد جعفر فلنذهب، فلنذهب، إنّهم يتكلّمون جزافاً. كان أحد الطّلّاب يعرفنا، فأمسك بنا، وقال: لن أدعكم تذهبون! لا يمكن أن أدعكم تذهبون، أنا

١- وقعت أحداث المدرسة الفيضيّة يوم شهادة الإمام الصّادق عليه السلام، أثناء إقامة مجلس عزاء في المدرسة. أثناء هذه الحادثة، قام أفراد قوّة المغاوير التّابعة للنّظام، الّذين كانوا يجلسون بين الجموع، بإطلاق شعارات أدّت لاندلاع مواجهات. فأخرجوا النّاس العاديّين من المدرسة ومن ثمّ بدؤوا يهجمون على طلبة العلم. وتدخّلت قوّات الأمن والساواك في الأمر، وبدؤوا يضربون الطّلاب، بمساعدة المغاوير، بشكل همجيّ

أعلم أنّ هذا قتل للنّفس، هذا انتحار ولن أدعكم تذهبون. أمسك بنا بقوّة، حينها أحسست أنّ الخطر جدّيّ. فقلنا: فلنذهب إذن إلى منزل السّيّد الخميني.

دخلنا إلى الشّارع، فرأينا الشّارع خالياً؛ لا سيّارة تمرّ فيه، ولا إنسان في الشّارع. كان هناك واحد أو اثنين على الرّصيف وكان يقف أمام زقاق «آرك» ٣٠ أو ٤٠ شخصاً. كانوا من النساء والرجال، وكان واضحاً أنّهم لا يسمحون لهم بالمجيء؛ إمّا لا يسمحون لهم، أو أنّهم يخافون أن يأتوا إلى الزّقاق. لم ندرك ما هو السّبب بدقّة. قرّرنا، أنا والسّيّد جعفر، قطع الشّارع بشكل طبيعيّ. عندما وصلنا إلى وسط الشّارع، نظرت إلى اليمين، فرأيت ٤ أو ٥ شباب طويلي القامّة، كاشفين عن صدورهم، يشبهون الهمجيين وما شاكلهم. لم أشعر بالخطر منهم للوهلة الأولى؛ كانوا قادمين باتّجاهنا، أو أنّهم يمشون في وسط

الشّـارع. كانـوا الوحيديـن الّـذي يمشـون فـي الشّـارع غير السّـيارات والدراجـات الهوائيـة والعربات، وكانـوا قادمين باتّجاهنـا. عندمـا وصلوا إلـى قربنا، نظرت مجـدّداً فرأيت أحدهم - وبينما كان يوجّه كلامه إليَّ - يقول كلمة كانت شـائعة فـي ذلـك الزّمـن بيـن الهمجيّيـن: «عـاش الشّـاه» وانطلق نحوي.

كنـت فـي البدايـة أنظرولـم أكـن منتبهـاً؛ وكأنّ السّـيّد جعفـرقـد فهم الموضوع قبلي، فتوجّه بسـرعة نحوالزّقاق. كنـت واقفـاً، وحيـن رأيتـه قادمـاً باتجاهـي بشـكل يوحي بالخطـر، انطلقـت باتجاه الزقاق، ولكن بهـدوء. فرأيته بدأ يركـض باتجاهـي. فعرفـت حينهـا أنّـه يريـد أن يضربنـي في وسـط الشّـارع أمام النّاس. ولقد عرفـت لاحقاً أنّ هذه كانـت عادتهـم إذا رأوا طالب علم في الشّـارع، يفتحون له عمامتـه، يمزّقونها، يرمـون عباءته، ويبدأون بركله بشـدّة،

فإمّـا أن يمـوت وإمّـا يبقى حيّـاً، ولكنّهم فـي النّهاية كانوا يهدفـون إلـى تحقيره وإهانتـه وضربه؛ كان يريـد أن يفعل هـذا الأمـر بـي، وعندما شـعرت أنّه قـادم باتجاهـي بحالة تهديـد، ذهبت باتجاه الجموع الّتـي كانت مجتمعة أمام زقاق «آرك».

فتـح لي النّـاس طريقاً بينهم، فإنّهم حينما شـعروا أنّني أهـرب منـه قامـوا بفتـح طريق لـي؛ فدخلت بيـن الجموع ومـن ثمّ داخـل الزّقاق، فرأيت أنّه مـا زال يريد اللّحاق بي، ولكنّ النّاس وقفوا أمامه ومنعوه من الدخول.

وكانـوا هـم كذلـك يخافون مـن الدّخول فـي الأزقّة، فلم يكونـوا يدخلونهـا. بـدأ يقـول كلمات شـبيهة بـ«تعـال إلى هنـا!» أو مثلاً: «لماذا ذهبت؟ إلـى أين تهرب؟» ومن هذه التّعبيـرات، ولكنّنـي قلـت حينهـا للسّـيّد جعفـر: سـيّد جعفر، أسرع ولننطلق.

ذهبنا ووصلنا إلى منزل الإمام الخميني. عندما اقتربنا من منزله رأينا أنّ هناك طالب أو طالبي علم من الرّياضيّين الأقوياء، كان أحدهم الميرزا علي أصغر كني، وشخص أو شخصين غيره. متى كان هذا الأمر؟ كنّا نقترب من وقت الغروب. رأينا أنّهم كانوا يقفون أمام الباب ينتظرون أن يهجم أشخاص على منزل الإمام الخمينيّ، مستعدّين للدّفاع عنه. فتقدّمت إلى أمام باب المنزل. كان باب الباحة الدّاخلي مغلقاً كما العادة، وباب الباحة الخارجيّ مفتوحاً؛ فدخلنا. سألنا أين الإمام؟ فقالوا لنا: هو في الدّاخل، والنّاس في الدّاخل كذلك.

عندما دخلت رأيت أنّه كان واقفاً من أجل الصّلاة، صلاة المغرب. كنت قلقاً وخائفاً إلى الحدّ الّذي وجدت نفسي غير قادر على أن أصلّي جماعة خلفه؛ أي: لم أكن أصلاً جاهزاً للصّلاة، كان قلبي مضطرباً، ولم أكن جاهزاً

للصّلاة، أبداً! فصرفت نفسي عن الصّلاة خلفه، وذهبت إلى الباب الخارجيّ. كنت أتحدّث مع الأشخاص الموجودين في الخارج عن كيفيّة إغلاق هذا المكان، فإمّا أن نبني دشمة أو نفكّر ببعض التّدابير من أجل أن نستطيع الدّفاع لو أرادوا الهجوم. فقلت: إن علينا أوّلاً أن نغلق الباب، العمل الأوّل الّذي يجب أن نفعله هو أن نغلق الباب. فقالوا هذا غير ممكن؛ قال لنا الإمام أنّه يجب أن لا نغلق الباب. كانوا قد أغلقوا الباب في العصر فوقف وجاء وقال: إنّكم إذا أغلقتم الباب فسأخرج من المنزل، ومن أجل أن لا يخرج من المنزل - وهو أمر خطير- قاموا بفتح الباب؛ كانت الأبواب مفتوحة على وسعها، كان هذا الباب مفتوحاً، وكذلك الباب الواصل بين الباحة الصّغيرة الدّاخليّة والباحة الكبيرة الخارجيّة.

رأيت أنّ هذا لن ينفع. فقلت: فلنحضر إذن كمّيّة من

العصيّ والحطب أو أيّ شيء آخر من أجل أن نضربهم بها لو جاؤوا؛ لأنّنا لم نكن نفكّر أنّ في أيديهم أسلحة، ولربّما لم يكن معهم فعلاً، بل كان معهم عصيّ وغيرها.

قلنا: فليكن معنا عصي على الأقل لنستطيع أن نقاومهم بها أو حجارة فنرميها عليهم من الأعلى؛ خلاصة الأمر، كنّا مشغولين بهذه الأفكار.

في هذه الأثناء، انتهى حديثنا وأنهى الإمام صلاته وذهب إلى غرفته. فذهبنا نحن أيضاً إلى الغرفة. نفس الغرفة الّتي نذهب إليها من الجهة الخارجيّة، وندخل من الباب، نجد على يدنا اليسرى فراش الإمام على الأرض، وكان في أعلاها مرآة معلّقة على الجدار. كانت هذه المرآة خاصّة بالإمام.

لم يكن طلبة العلم في ذلك الزّمان يعتنون بالمرآة؛ أمّا هو فلا، كانت المرآة فوق رأسه فمتى ما نهض كان ينظر

إليهـا ويرتّب مظهره. كان الإمام ملتزماً بالتنظيم والتّرتيب منذ تلك الأوقات. ١٩٨٢/٠٩

كان حقّـاً نموذجـاً بالنّسـبة لترتيـب شـعره ومظهـره الخارجـيّ فـي قـم. ولـو سـألتم أيّ مـن تلامذته لقالـوا لكم هذا الـكلام. كانت نعاله دائماً مشـمّعة ونظيفة، وعمامته مرتّبة. لم يستعمل أبداً تلك العمامات الّتي تكون مفتوحة ومترهّلـة. مـن الأوّل وحتّـى أيّامه الأخيرة كمـا كنتم ترون، كان دائماً يلبس لباسـاً مرتّبـاً ونظيفاً ويمتلك مظهراً لائقاً.

١٩٩٤/٠٤/٢٤

دخلنـا إلـى الغرفـة، وقـد امتـلأت بالطّلبـة. كنت أقف علـى بابهـا؛ أي: داخـل الغرفـة، ولكنّـي كنـت واقفـاً على البـاب، وكان الآخرون جالسـين. بدأ الإمـام حديثه، وكان يقـول: إنّهـم فانـون وسـتبقون أنتـم. لا تخافـوا! ولقـد رأينـا

أسوأ من هذا. في أيّام والد محمّد رضا[1] كنّا قد رأينا أسوأ من هذا. لقد رأينا أياماً كنّا لا نستطيع فيها أن نبقى في المدينة. فكنّا نُجبر على الخروج من المدينة في الصّباح الباكر؛ فنطالع ونباحث ونعمل خارج المدينة، وثمّ في اللّيل نعود إلى غرفنا في المدرسة؛ و إلّا كانوا يمسكون بنا ويؤذوننا، يرفعون عماماتنا ويقومون بأذّيتنا.

ولقد رأيت أنّ ما كان يتحدّث عنه الإمام هو بالضّبط ما كنّا نشعر به في ذلك اليوم، ولقد كانت هذه الحالة أيضاً في الأيّام الأخيرة في قم. لربّما لأسبوع أو أربعة أو خمسه أيّام كانت هذه الحالة موجودة بحيث لم يكن أحد يستطيع الخروج إلى الشّوارع بسهولة، فلم نكن نُظهر أنفسنا في الشّارع. ١٩٨٢/٠٩

ومن الكلمات الّتي ما زلت أذكرها، وبقيت راسخة

١- المقصود من والد محمّد رضا هو رضا ميربنج المعروف برضا شاه بهلوي

في ذهني، الّتي قالها في ذلك اليوم، هي هذه؛ قال: هم سيذهبون وأنتم ستبقون. فاثبتوا. هم الباطل. وهل كان يمكن لأحد أن يتكلّم هكذا في ذلك اليوم، هم سيذهبون وأنتم ستبقون؟ كان النّظام ذا قدرة ظاهريّة، مدعوم من كافّة قوى العالم، يمتلك الثّروة والأسلحة، لديه سياسة وأزلام ومرتزقة، ولديه الوسائل الإعلاميّة؛ من كافّة الأنواع. وكنّا نحن عدّة صغيرة، مظلومة، لا نملك المعدّات ولا المال ولا الأسلحة، بدون أيّ إمكانيّات سياسيّة، ولا يوجد من يعرفنا في كلّ العالم؛ فماذا تعني جملة «هم سيذهبون وأنتم ستبقون»؟! دائماً ما يتردّد صدى هذه الجملة في أذنيّ. ١٩٨٩/٠٦/٠٢

وبينما الإمام يتكلّم، جاؤوا بولد عمره ١٣، ١٤ أو ١٥ كانوا قد ألقوه من السّطح وحالته كانت وخيمة جدّا. كانوا قد خلعوا عنه عباءته وألبسوه معطفاً. حين جاؤوا به إلى

الإمـام، مـا إن أدخلـوه من بـاب الغرفـة حتّى قـال أحدهم بصـوت عال وهو باك: سـيّدي لقد رموا هذا الشّـخص من السّطح.

تغيّر حـال الإمام، وقال: خذوه وضعـوه في تلك الغرفة، وأتـوا بالطّبيب من أجلـه. فأخذوا ذلك الولـد ووضعوه في الغرفة من أجل أن يأتوا بالطّبيب من أجله.

وأكمـل الإمـام حديثـه، امتـدّ كلام الإمام إلـى ٢٠ أو ٢٥ دقيقـة علـى ما أظـنّ. وعندمـا أنهـى الإمام كلامه شـعرت بأنّنـي قـويّ ومقاومٌ إلـى حدّ أنّـه لو هجمت تلـك الجموع ومعهـا جيش على هذا المنـزل، فأنا جاهز لأقاوم لوحدي. والله لقدّ أثّر فينا كلام الإمام إلى حدّ لا أنسـاه. والسّبب في أنّنـي مـا زلـت أذكر كلامـه ذاك بدقّـة، هو هذا الأثـر العظيم والعجيـب الّـذي تركـه فـي داخلـي. أنـا الّـذي كنـت فـي اللحظات السّابقة مرعوباً إلى الحدّ الّذي لم أكن أستطيع

أن أقف للصّلاة، شعرت بعد كلامه هذا - أي بعد نصف ساعة من دخولي إلى المنزل - أنّني لا أخاف من أيّ شيء، وأنّني جاهز للدّفاع لوحدي. وقلت في نفسي: إنّني سأبقى اللّيلة هنا؛ لأنّه كان من الممكن أن يهجموا على منزل الإمام في اللّيل؛ سأبقى وسأدافع. ولقد ظهر أنّ هناك كثيرين مثلي الّذين قد قرّروا البقاء هناك في تلك اللّيلة. جهّزنا أنفسنا وتوزّعنا في الغرفة الخارجيّة لنمكث ليلتنا هناك. كنت أفكّر في نفسي أنّه عليّ أن أذهب وأبقى عند الباب، وعلى ذلك أن يذهب إلى أوّل الزّقاق؛ وأخذنا هكذا نفكّر بين بعضنا البعض فيما يمكن أن يحدث وكيف يجب أن نتعامل معه؟ ونقسّم الأعمال على بعضنا البعض، إذ جاء الخبر من الإمام أنّنا علينا جميعاً أن نذهب. قلنا: إنّنا لن نذهب. فقالوا لنا: إنّ الإمام يقول: أنّه لا يرضى بأن يبقى أحد هنا اللّيلة؛ ولذلك نهضنا جميعاً

وخرجنا ولم يبقَ أحد.

مرّت ليلة الهجوم على المدرسة الفيضيّة. فأرسلت بداية الأمر برقيّة إلى مشهد كي لا يقلق والداي أو يضطربا، وبعدها قام كافّة الطّلّاب بإرسال البرقيّات إلى مدنهم، ومن ثمّ جلست في اليوم التّالي لأكتب وصيّتي.[1] ١٩٨٢/٠٩

الغفلة عن وجود الإمام

فلأتكلّم عن تحليل النّظام، فما هو تحليله حول المدرسة الفيضيّة الّذي أدّى إلى الحادثة الّتي حصلت هناك. عليّ أن أقول: إنّ تحليل النّظام لم يكن تحليلاً خاطئاً مئة بالمئة؛ بل كان خمسون بالمئة منه خاطئاً

١- جزء من وصيّة آية الله العظمى السّيّد علي الخامنئيّ في اليوم التّالي لحادثة الفيضيّة:
إن والدي ووالدتي اللذين سيعمّهما الحزن أكثر من الجميع بوفاتي، فكما يقول الحديث الشريف: «إذا بكيت على شيء فابك على الحسين عليه السلام» فلا ينسياني عند ذكر مصائب أجدادنا إن شاء الله تعالى.
يبدو أن مهمتي قد انتهت.
اللهم اجعل الموت أوّل راحتي وآخر مصيبتي، واغفر لي، وارحمني بمحمد وآله الأطهار.
العبد علي الحسيني الخامنئي

وخمسون بالمئة منه مصيبا.

كان النّظام يفكّر في نفسه أنّ حوزة قم هي مركز ومحور هذه المواجهة الّتي قد بدأت الآن، الحوزة تختلف عن سائر المواجهات الأخرى الّتي انطلقت من الجامعة أو الأحزاب في الماضي أو من بعض الشّخصيّات؛ والسّبب هو في أنّ علماء الدّين محبوبون بين النّاس، وأصحاب نفوذ؛ والحوزة على وجه الخصوص، إذ هي ليست مركزاً لخمسين أو مئة أو خمسمئة عالم دين لمدينة ما؛ بل هي مركز لعدّة آلاف من علماء الدّين من كلّ إيران الّذين أغلبهم من الشّباب النشيطين الشّجعان الأتقياء الّذين لا يبالون لا بالمال ولا بالأملاك، ولم يتعلّقوا بجاه أو مقام أو لقب، وهكذا أشخاص حتماً هم أشخاص خطيرون. إنّ المواجهة الّتي تندلع بين هؤلاء وبوجودهم تحمل خطر الإنتشار إلى كلّ البلد. وهذا أمر خطير بالنّسبة للنّظام،

وكان لا بدّ من قلعهم وقمعهم. ولا يتحقّق هذا القلع والقمع إلّا بتوجيه صفعة لهم في نفس حوزة قم. ولهذا اختاروا اليوم الّذي يجتمع فيه كلّ الطّلّاب والعلماء والمراجع.

وكان لهذا فائدة أخرى لهم - وفقاً لتحليلهم - وهو أنّ هذا الرّعب الّذي سيزرعونه في قم عبر هذا العمل سينتشر في كلّ البلد؛ إن كان عبر نفس طلّاب العلم أو عبر الزوّار الّذين يأتون لا محالة في أوّل الرّبيع - أي أيّام عيد النوروز - إلى قم.

أي: أنّ كلّ من يعود من قم، سيكون ناقلاً للرّعب والوحشيّة إلى مدينته وعائلته ومن هم حوله.

أمّا النّصف الّذي كان خطأ، فهو أنّهم كانوا يظنّون أنّه يمكن إسكات هذه الفئة بالإرهاب والتّهديد؛ لأنّ من يسكتون بالإرهاب والتّهديد هم الّذين يكون دافعهم مادّيّ، أو يملكون جاهاً أو مقاماً يخافون زواله.

ولكنّ أحداً في قم لم يكن هكذا. لم يكن أيّ من الطّلّاب والفضلاء والمدرّسين في قم يملك جاهاً أو مقاماً أو مالاً، بل حتّى لم يكن لأكثر هؤلاء الشّباب زوجة وأطفال ليفكّروا بأنّ زوجتهم وأطفالهم سيقلقون أو يحزنون؛ لم يكونوا يخافون أيّ شيء. ولا بدّ لي من أن أضيف أنّه حتّى ذلك اليوم، لم يكن وجه هجمات النّظام القبيح قد ظهر بشكل كامل بعد. أي: لو أنّ الطّلّاب والفضلاء قد ظنّوا أنّ بعد الهجوم على الفيضيّة سيتمّ إعدام ٥٠٠ أو ألف شخص مثلاً، لربّما ترك هذا الأمر بعض الأثر عليهم؛ ولكن لم يكن هناك سابقة لهكذا أمر، ولم يكونوا يفكّرون أنّ هذا ممكن الحصول. إنّ الضّغط على هكذا شاب ثائر تقيّ - لا يملك ما يخسره - سيكون بلا فائدة قطعاً.

والأهمّ من هذا كلّه هو وجود شخص مثل الإمام الخمينيّ الّذي كان خافياً عن أنظارهم ومغفولاً عنه في

حساباتهم؛ أي: أنّهم لم يظنّوا أنّه لو تمّ قمع قم ولو أوجدوا ذلك الرّعب، وحتّى لو كان الرّعب مسيطراً بشكل كامل، فإنّ هناك شخصاً في قم سيطرد هذا الرّعب بكلامه وسيزرع بأعماله الشّجاعة من جديد في أعماق جميع أفراد الحوزة، وهذا الشّخص هو الإمام الخمينيّ.

كانوا حقّاً قد أخطؤوا في تحديد أهمّيّة الإمام الخمينيّ، ولم يعرفوه بشكل صحيح، وفي اليوم الّذي عرف فيه النّظام الإمام الخميني بالشّكل الصّحيح فعلوا، ما كان يجب عليهم فعله في مواجهتهم الإمام الخميني؛ أي: أنّهم أمسكوا بذلك العظيم، ومن ثمّ نفوه، ولو كانوا يستطيعون لأعدموه.

بالطّبع يجب أن أذكر أنّه وحتّى عام ١٩٦٣ و١٩٦٤، لم يكونوا قد عرفوا الإمام بشكل صحيح كما يجب. ولربّما ما عرفوه حتّى السّنوات الأخيرة، أي إلى عامي ١٩٧٧

و١٩٧٨؛ ولو أنّ أجهزة الإستخبارات - لا الإيرانيّة فقط، بل غيرها كالأمريكيّة - قد عرفوا الإمام الخميني بادئ الأمر كما عرفوه لاحقاً في الـ١٩٧٧ والـ١٩٧٨، لكانوا حتماً قد قتلوه، ولم يكن هناك احتمال بأن يبقى حيّاً إلى ما بعد تلك المرحلة. ولذا فإنّهم كانوا غافلين عن وجود الإمام الخمينيّ، ولم يكونوا قد أخذوا تأثير وجوده في حساباتهم.

١٩٨٢/١٠

التّذكار الجميل

شرعت رسائل وبرقيّات التّنديد بحادثة الفيضيّة بالوصول من العلماء في المدن المختلفة إلى قم، وقد بدأ هذا بهمّة وسعي سرّييّن من قم؛ أي: أنّ الإمام كتب رسالة وقام بإرسالها، ومن ثمّ بدأت الرّسائل تصل إلى علماء قم من المدن تباعاً تندّد بحادثة الفيضيّة.

وبهذا، صنع الإمام الخمينيّ من حادثة المدرسة

الفيضيّـة، مـن خلال هذه الرّسـالة وأعمال أخـرى، منصّة للقفـز إلى مراحل جديدة من المواجهة. فحصل عكس ما كان يريـده النّظـام، وعكس مـا كان يريـد تحقيقه، وأوجد الإمـام - قهـراً - نتيجـة أخرى لحادثـة الفيضيّة لـم يكونوا ليتوقّعوهـا. كانـوا يظنّـون أن هنـا سـيكون مـكان القمـع؛ ولكنّ الإمام جعل منه طريقاً ومستمسكاً لردّة فعل شعبيّة عظيمـة، تتفاعـل يوماً بعد يـوم، وصلت إلـى أوجها في ٥ حزيران.

تـمّ تعطيل الـدّروس لعدّة أيّـام، ٢٠ يوماً، بسـبب حادثة المدرسـة الفيضيّـة. وفـي أوّل يـوم عـادت فيـه الـدّروس، وكان درس الإمام يقام في المسجد الأعظم، وبعد الدّرس، قال الإمام: فلنذهب إلى المدرسـة الفيضيّة لنقرأ الفاتحة لشـهدائها. فبدأ بالسّـير والطّلّاب يسيرون خلفه. كان هذا أمـراً لـم يكـن ليخطر على بال أحـد، بأن يقـوم الإمام فجأة

بهكذا فعل.

لـم تكـن المدرسـة الفيضيّة مسـكونة بعد ذلـك اليوم؛ لأنّهم كانوا قد خرّبوا فيها، وخلعوا الأبواب، وكسّروا الجدران، ووسّـخوها، ونشـروا الفوضـى فيهـا، وبعثروا الأغـراض، فلم تكن مسكونة. بالإضافة إلى أنّه لم يعد للطّلبة الّذين كانوا يعيشون في هذه المدرسة الجرأة في قلوبهم ليذهبوا إليها.

بدأنا السـير، كنت فـي ذلك اليوم عنـد الإمام، وكذلك كانـت مجموعـة كبيـرة مـن الطـلّاب. تحرّكنـا باتّجـاه المدرسـة. دخـل الإمـام إلـى المدرسـة، وانعطفنـا باتجـاه اليسـار، وجلس هناك عند مدخل الغرفة الأولى أو الثّانية. وكذلـك فعـل الطّلبـة حولـه. كان الحـزن الشّـديد يلـوح فـي وجـه الإمـام، كان حزيناً جـدّاً. فطلب أحدهـم أن يقرأ شـخص ما مجلساً. فنهض سيّد وقرأ مجلساً هناك وبكى الجميـع. وألقـى الإمـام هنـاك خطبة صغيـرة وخرجنا من

المدرسـة. إنّ تمزيق الرّعب الّذي كان قد حلّ على حوزة قـم كان مؤثّراً جدّاً. وبدأ تـردّد الطّلّاب إلى الحوزة، وأصبح معلومـاً أنّه كلّا، بإمكانهم المجيء والذّهاب. على الرّغم مـن أنّه تمّ لاحقاً إغلاق باب المدرسـة لسـنوات طوال من أجل ترميم المدرسة الفيضيّة.

وهـذا ما حصل؛ ولديّ من ذلـك اليوم صورة مع الإمام، أي مـع الطّـلّاب، وقـد كنـت واقفـاً وراء الطّـلّاب، وهـذه الصّورة تذكار جميل لي من ذلك اليوم. ١٩٨٢/١٠

من اليوم السّابع من محرّم

وقعـت حادثـة الفيضيّـة في شـهر شـوّال؛ ومرّ شـهرا ذي القعـدة وذي الحجّـة، وحـلّ شـهر محـرّم. أي: كان هنـاك فاصلـة زمنيّـة تمتـدّ إلـى شـهرين وخمسـة أيّـام مـن تلك الحادثـة، حتى حلول شـهر محـرّم. وكما ظهر فـي آخر أيّام النّضـال، كان للإمام دائماً إيماناً غريباً بشـهر محرّم، وحقّاً

كان يعتبـره «شـهرانتصار الدّم على السّـيف». كان الإمام قد استعد لشهر محرّم منذ البداية، وكان هذا واضحاً؛ لأنّ ذلك المخطّط الّذي كان الإمام قد حضّرله في شهرمحرّم وأبلـغ عنـه وتمّ العمل بناءً عليه، لم يكـن مخطّطاً فجائيّاً؛ كان مخطّطاً يحتـاج إلـى شـهرين علـى الأقـل ليسـتطيع إنسان طبخه و إعداده بشكل صحيح.

وبنـاء علـى هذا يمكـن أن نعـرف أنّ الإمام قـد رأى في حادثـة الفيضيّـة، وبمجرّد أن حصلـت، حادثـة يجب أن يتـمّ اسـتثمارها فـي محـرّم. وقد بـدأ قبل محـرّم بكتابة الرّسائل وتبادل المعلومات بشكل علنّي وسرّيّ. ١٩٨٢/١٠

كان المرحوم السّـيّد مصطفى يقول: إنّ الإمام كان ينام لمدّة سـاعتين أو ثلاثة، ويكتب الرّسـائل في الوقت الّذي تبقّى من الّليل. لم يحصل أبداً في حياة الإمام، حين كنّا طلبـة علم ومع مـن كان قبلنا، أن يجتمـع الإمام ويجلس

مع الطّلبة في غير الدّرس أو مجالس العزاء. وحين بدأ النّضال، كانت للإمام جلسات في اللّيل بعد الصّلاة، خارج وقت الدّرس ومجالس العزاء؛ وأحياناً في النّهار وفي العصر كذلك. كان منزل الإمام وغرف منزله مليئة دائماً بجموع الطّلبة، وأحياناً شخص واحد، شخصين، أو خمسة أشخاص حيث يكون لديهم لقاء خاص مع الإمام، فكان هناك دائماً مجموعة تذهب إلى الإمام ويقوم الإمام بالتّحدّث معها.

كنّا نرى أنّه كان هناك، وحتّى آخر ساعات اللّيل، أي إلى السّاعة الثّالثة أو الرّابعة، من يتردّد إلى منزل الإمام، وكنّا نحن هناك كذلك الأمر؛ أحياناً مع مجموعة وأحياناً أخرى مع بعض الأشخاص. وبعد أن كنّا نذهب من عنده، كان الإمام يدخل إلى غرفته ويبدأ بكتابة الرّسائل. يمكنني ربّما أن أقول: إنّ الإمام قد أرسل مئات الرّسائل

إلـى الولايـات المختلفـة. كان يكتـب الرّسـائل للعلمـاء في المدن، ويشـرح لهم عن المخاطر الّتي تحيط بالعالم الإسـلاميّ من طرف الحكومة ودور إسـرائيل وأمريكا، وإنّ الهدف هو حذف الإسـلام؛ الهدف هو قمع علماء الدّين. وكان يوسّـع فـي شـرحه بالمقـدار الّـذي كانـت تسـمح به الرّسائل ومع مراعاة حالة المُرسل إليه. ١٩٨٢/٠٨

كان الإمـام يبـدع فـي تهيئـة الأرضيّة الذّهنيّـة للعلماء فـي المـدن. كان منـذ البداية يمتلـك إيماناً راسـخاً بدور العلمـاء ونفوذهـم في قلـوب النّـاس؛ كان يولي هـذا الأمر أهمّيّة كبيرة. ١٩٨٢/٠٦

عندمـا اقتـرب حلول شـهر محـرّم، قـام بوضـع مخطّط للمـدن المختلفة، وكان هـذا المخطّط عبارة عن إرسـال طلبـة العلـم والأفاضـل إلـى أطـراف البـلاد، وطلـب مـن الطّلبة والفضلاء الّذين تمّ إرسالهم وأن يطلبوا من العلماء

والخطباء في تلك الأماكن أن يخصّصوا كلامهم من اليوم السّـابع عن حادثة الفيضيّة. أي من اليوم السّـابع، يقومون بعـرض مـا حـدث فـي الفيضيّـة، ويوضّحـوا، ومـن اليـوم التّاسع تبدأ مسيرات اللّطم بالتعرّض لهذا الأمر وأن يقوموا بالحديـث عـن المدرسـة الفيضيّـة أثنـاء مجالـس العزاء حتّـى يعرف كلّ الإيرانيّون ما حصل فـي حادثة الفيضيّة. وحقّاً حيـن يفكّـر الإنسـان يـرى أنّه لـم يكن هنـاك طريق أفضـل ليعرف النّـاس على امتداد إيـران بحادثة الفيضيّة ويتـمّ جرّهـم إلى النّضـال وإيجاد الحمـاس عندهم. لقد كنت أنا من الأشخاص الّذين تمّ بعثهم ولقد رأيت أثر هذا الفعل. ١٩٨٢/١٠

طلـب منّي أن أذهـب إلـى مشـهد، وحيـن أصـل إلـى مشـهد أسـلّم رسـالة منـه إلـى السّـيّد الميلانـي والسّـيّد القمّي، وأطلب منهم أن يبقى هذا الأمر طيّ الكتمان، وأن

أوصل رسالة إلى جميع علماء مشهد. كانت تلك الرّسالة المرسلة إلى كافّة علماء مشهد أن استعدّوا للمواجهة فإنّ اليهود والصّهاينة قد بدؤوا بالهيمنة على البلد وللعلماء مهمّة شرعيّة. هذه الرّسالة كانت يجب أن تصل للجميع. أمّا الرّسالة الّتي كانت يجب أن تصل للسّيّد الميلاني والسّيّد القمّي، إضافةً إلى الرّسالة العامّة، هي أن يقولوا لكافّة الخطباء أن يبدؤوا في خطبهم منذ اليوم السّابع من محرّم بقراءة مجالس عزاء عن الفيضيّة، وكذلك الأمر في مسيرات اللّطم والهيئات منذ اليوم التّاسع.

ذهبت إلى مشهد وأوصلت الرّسالة إلى عدّة من علماء مشهد، إذ ذهبت إلى منازلهم وأوصلت الرّسالة. وبالطّبع كان لكلّ منهم ردّة فعل مختلفة على الرّسالة؛ ولكنّ الأغلب لم يحملها على محمل الجدّ. لربّما كان الشّخص الوحيد الّذي أدرك هذه الرّسالة وفهمها بحقّ

وعمل بناء عليها كان المرحوم آية الله الشّيخ مجتبى القزويني[1].

وحول الرّسالة المتعلّقة بالمدرسة الفيضيّة، فقد ذهبت إلى السّيّد الميلاني والسّيّد القمّي وأوصلت رسالة الإمام الخميني لهم. ١٩٨٢/١٠

وذهبت أنا بعدها في سفر للخطابة، واخترت مدينة بيرجند، ١٩٨٢/١١ وقد عرضت الخطّة على العلماء هناك، والتزمت بها أنا كذلك. لقد كنت في أيّام محرّم والقريبة من ٥ حزيران في تلك المنطقة حيث قاموا بإلقاء القبض عليّ لاحقاً وإرسالي إلى مشهد والسّجن.

كانت هذه رصاصة قد أصابت هدفها ببراعة، وكان الإمام قد أطلقها على قلب العدوّ وأصابه. بدأ شهر محرّم بالشّكل الطّبيعي. كان النّظام غافلاً، وبدون أن يكون هناك

١- آية الله الشّيخ مجتبى القزويني (١٩٠١-١٩٦٧) من علماء الشّيعة الكبار. كان يسكن في مشهد

شبكة إعلانات واتّصالات منظّمة، فجأة، في اليوم السّابع من محرّم، وفي كلّ أنحاء البلاد، بدؤوا يرون أنّ المذيعين المتديّنين وأصحاب المنابر والخطباء - بالطّبع الّذين كانت قلوبهم قويّة للقيام بهذا الأمر، حيث كان البعض لا يسعون نحو هذه الأمور وغير قادرين عليها - في المجالس والمحافل قد بدؤوا بالحديث عن موضوع جديد. لقد حصلت هناك ثورة في أذهان النّاس، وتمّ إطلاق عواصف في الحالة الذّهنيّة في المجتمع. لم يعي النّظام كيف يتعاطى بشكل صحيح مع هذه الحادثة؛ فألقوا القبض على بعضهم وحبسوهم، وضربوا بعض الخطباء. ولم يكونوا قد خرجوا بعد من الدّوار الّذي صنعه لهم يوم السّابع من محرّم حتّى بدأت المسيرات الدينيّة والهيئات بالخروج في الشّوارع في المدن المختلفة مطلقة شعارات ذات علاقة بالفيضيّة. ١٩٨٩/٠٦/٠٢

إلقاء القبض على الإمام!

يوم العاشر كان ذروة هذا الأمر، فقد قام نفس الإمام بإلقاء خطبته المعروفة في قم. كان هناك أشخاص موجودين أثناء إلقاء الخطبة وقد نقلوا لنا ما حدث؛ أخبرونا عن كيفيّة الخطبة ومجيء الإمام إلى المدرسة الفيضيّة، وعن حشود النّاس العظيمة، إذ كان قد اجتمع عشرات الآلاف وكانوا يسمعون هذه الخطبة؛ وقد خلق هذا الأمر عواصف قويّة في المجتمع، سواء كانوا من أهالي قم أو طهران أو غيرها من الأماكن. ١٩٨٩/٠٦/٠٢

تحدّث الإمام بشكل عجيب وكاسح في المدرسة الفيضيّة، واعتمد على أكثر مسألة أساسيّة، وأشار إليها، وهي أنّ نظام الهيمنة معارض للإسلام، وهدّد الشّاه أنّه لو ظلّ يعمل على هذا المنوال، فسأعلن أنّ هذا الإنسان لا دين له، ولن يستطيع النّاس أن يتحمّلوك.

كان المحور هو الدّين في الأصل. وحين تمّ إلقاء هذه الخطبة، قرّر النّظام، الّذي كان يشعر في الأشهر السّابقة أنّ هناك مواجهة عميقة تتّخذ شكلها والّذي كان قد وجد المركز الأصليّ لهذه المواجهة وهو نفس الإمام الّذي كان على رأس العلماء المناضلين، أنّه يجب أن يخرج الإمام من مشهد المواجهة. فتدفّقوا ليلاً إلى منزل الإمام في ليلة الثّاني عشر من محرّم الّتي كانت ليلة ٥ حزيران، وألقوا القبض على الإمام، وأخذوه إلى نقطة مجهولة، ومن ثمّ عُرف لاحقاً أنّهم أخذوه إلى طهران واعتقلوه مؤقّتاً في نادي الضباط. ومن ثمّ أخذوا الإمام إلى سجن وأبقوه في زنزانة انفراديّة. [١٩٨٩/٠٦/٠٢]

كان السّيّد مصطفى شاهداً عن قرب على تلك الحادثة وقد روى ما حدث. عندما ألقوا القبض على الإمام، كان هو أوّل من أطلق الصّرخة وأخبر أهالي قم عمّا حدث، وقد

استيقظ النّاس على نداءات السيّد مصطفى الحماسيّة وأدركوا ما حصل وأنّ إمامهم قد أُخذ. ١٩٨٣/١٠/١٢

في ذلك اليوم، تجمّع النّاس في صحن الحرم، وعمل عدّة أشخاص من طلبة العلم الفاعلين والمناضلين والشّباب، وكذلك من تجّار قم، المعروفين بالأسماء، عملوا على مساعدة النّاس وتوجيه شعاراتهم وكلامهم مستفيدين من مكانتهم الاجتماعية. وفي تلك الأثناء، يأتي السّيّد مصطفى ويرتقي المنبر، وكان لحضور السّيّد مصطفى في الصّحن، الصّحن الّذي كان يُمطر دماً وناراً وتفوح منه رائحة الموت، كان لحضوره أثراً غريباً؛ كما نقلوا. كان قد جعل النّاس تثور. كان مركز المواجهة يبدأ من هنا، من قدوم السّيّد مصطفى إلى صحن الحرم وحضوره بين النّاس.

كان السّيّد مصطفى رجلاً شجاعاً. لقد كان حقّاً ابن

الإمـام. وكان حقّـاً وإنصافـاً شـخصاً يليق بـه أن نعّرفه بأنّه ابن هذا الرّجل العظيم والشّـخصيّة الكبيرة، وكان يمتلك تلـك الشّـجاعة الّتي تجعله يخـرج في الوقت المناسـب كابنٍ للإمام. ١٩٨٣/١٠/١٢

لقـد أطلـق حركة عظيمـة؛ حيث سـقط عـدد كبيرمن النّـاس شـهداء فـي طهـران، تبريز، شـيراز، وبعـض المدن الأخرى، والأماكن القريبة من طهران، مثل: ورامين وسليل الإمامـة جعفر. كانت هذه ذكرى عظيمة، وكانت هذه أوّل انتفاضة شـعبيّة ملطّخة بالدّماء في مقابل النّظام الجائر. كانت هناك انتفاضات قبل هذه بالطّبع؛ أي: كانت هناك مظاهـرات وتحرّكات، وقد أدّى بعضها إلى سـقوط الدّماء عبرجلاوزة النّظام؛ ولكنّها لم تكن بهذه السّعة والضخامة على مستوى البلد، وكانت هذه أوّل مرّة يحدث فيها مثل هذه الحادثة. ١٩٨٩/٠٦/٠٢

نعم للرّمح وكلّا للغطرسة!

عندما وقعت حادثة ٥ حزيران، لم يكن الإمام قد أخبر أو دعا إلى حصول شيء. ولكنّ النّاس هي من احتشدت بذلك الشّكل العظيم؛ لا في صحراء قم، بل من أجل الدّفاع عن الإمام، وقد وقفوا في مقابل رصاصات العدوّ، وكم قدّموا من الشّهداء! ومن الجرحى! وكم تمّ ضربهم! كان الأمل بالنّاس والاعتماد عليهم حقّاً أمراً لا مثيل له، بالمقايسة مع بعض الأشخاص الآخرين الّذين كانوا موجودين، يمكن للإنسان أن يعرف كم كانت لهذه الخصلة من فعاليّة، وكم كانت مهمّة في تقدّم المواجهة.

كان الإنسان يتذكّر صدر الإسلام ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[1] إذ كان الله تعالى يقول للنّبيّ: إنّ نصرك وتأييدك هو من الله بوسيلة المؤمنين. المؤمنون،

١- الأنفال: ٦٢

الأشخاص المؤمنون، هم وسيلة الدّعم الّتي يجعلها الله للقادة الصّالحين؛ محبّة الإمام هذه الّتي تمتلكها القلوب وما زالت وستبقى دائماً. ١٩٨٩/٠٦/٠٢

بدأت المواجهة، ومن ذلك اليوم بدأ بعضهم، من العلماء وغيرهم، يقولون: لن تؤول هذه الأحداث إلى نتيجة، ليس هناك من فائدة!

وقد كان الإمام يقول في تلك الأيّام بثقة تامّة: إنّنا جاهزون، كان يقول: إنّنا قد جهّزنا صدورنا لرماحكم؛ ولكن لم نجهّز قلوبنا لتسمع كلامكم وتقبل غطرستكم.

أظهرت حركة الإمام هذه أنّ «الظّروف» و«الأوضاع في هذا الزّمان» وما شاكلها هي أقوال لا مسوّغ لها. كان بعضهم يقول في تلك الأيّام: لقد قام نظام الشّاه بتوطيد علاقته بالأمريكيّين. كانوا يقولون: أنتم اليوم تقاتلون أمريكا، وهل هذا ممكن؟! أنتم اليوم تواجهون هذا النّظام،

وهل ستسمح أمريكا بهذا؟! ١٩٨٥/١١/٠٣

قمت في أحد الأيّام بإرسال رسالة من مشهد من باب الشّكوى للإمام أنّنا نتعرّض للضّغط من عدّة جهات؛ الجهة الأولى هي السافاك، والثّانية هي المسؤول الفلاني، والثالثة هي من بعض الأشخاص ممّن يرتدون زيّنا. وقد أوصلت هذه الرّسالة إليه بصعوبة شاقّة. وقد أرسل إليّ رسالة مقتضبة جواباً على رسالتي. فبعد أن أجاب على أمرين أو ثلاثة، كتب: أمّا مسألة الجهات الثّلاث الّتي ذكرتها، فإنّ الحال هنا هكذا كما تقول! الوضع هنا هكذا.

٢٠٠٣/٠٥/٢٦

لقد قيل للإمام مرّات عديدة: يا من تشجّع الشّعب الإيرانيّ على الوقوف في وجه النّظام البهلويّ، من سيقدّم الجواب على السّؤال عن الدّماء الّتي تُراق على الأرض؟ أي: أنّهم جعلوا دماء الشّباب في مواجهة الإمام.

وقد قال لي هذا الأمر عام ١٩٦٣ أحد العلماء الكبار، فقال: في ٥ حزيران حين قام - أي الإمام - بهذه الحركة، قُتل كثيرون، وقد كانوا خيرة شبابنا. من سيتحمّل مسؤوليّتهم؟١٩٩٦/٠٦/٠٣ كان يقول: إنّنا قد تكبّدنا خسارة في ٥ حزيران؛ لأنّ أهمّ جيل في مجتمعنا هم الشّباب؛ والأفضل من بين الشّباب وأكثرهم لياقة هم المتديّنون؛ ومن بين المتديّنين هم الّذين يمتلكون شجاعة المبادرة، هم الأفضل من الجميع؛ وفي هذه الفاجعة، كلّ الّذين كانوا يمتلكون شجاعة المبادرة من المؤمنين قد قتلوا، أو أنّ عدداً كبيراً منهم قتل ونحن تكبّدنا خسارة. أين سنجد مثل هؤلاء الشّباب مجدّدا؟

طبعاً لم أكن لأقبل بهذا المنطق من التّفكير حتّى منذ ذلك الوقت الّذي كنت فيه طالب علم. فتناقشنا قليلاً. وبالطّبع فإنّ الجواب على هذه المسألة هو: إنّنا في أيّ

أمـر نحتاج هؤلاء الشّـباب أصحاب المبـادرة؟ وماذا نريد منهـم أن يفعلـوا؟ لـو أنّنـا تصرّفنا معهـم كما يقولـون لكان وجودهـم خسـارة؟ بالإضافـة إلـى أنّـه مـن الصّحيـح أنّ بعضهـم يُقتـل في هـذه الأحـداث؛ ولكنّ هـذه الأحداث تقـوم ببنـاء وإنتاج أشـخاص أكثر. كانت هـذه هي الأمور الّتي لم يكونوا ينتبهون لها. ١٩٨٢/١٢

في الحقيقة، يجب علينا أن نقبل أنّ الإمام كان وحيداً. لقـد رأيـت فـي روايـة أنّ أحدهـم يسـأل الإمـام المعصـوم: أن يكـون هناك ٣١٣ شـخص حـول قائـم آل محمّد حين ظهوره، هل يعني هذا أنّ البقيّة ليسـوا مؤمنين؟ وأنّ هناك ٣١٣ شخصاً مؤمناً فقط في ذلك الزّمان؟ فيجيب الإمام: «كلّا، أمّا هؤلاء الـ٣١٣ هم نجباء وحكّام» ويذكرلهم أوصافاً، وهـي: نجباء، أي: مصطفون، المنتجبون، المختارون من المجتمـع؛ حـكّام المجتمـع، أي: الأشـخاص الّذين هم

أصحـاب التّأثيرفي مسـائل النّـاس الاجتماعيّـة، فالعقد تُحل على أيديهـم، ووبيدهم نقطـة معيّنة يعملـون على حلّهـا وتكـون حينهـا نقطـة مفصليّـة؛ قضاة، هنـاك تعبير بأنّهم قضاة، أي هم أشخاص وصلوا إلى درجة القضاء، أي يمكنهـم القضاء بين الحقّ والباطل، أي أنّ ملكة القضاء قد وُجدت فيهم، هم الفقهاء، الّذين يعرفون الدّين.

وبعدهـا يضيـف: «هـذا مـن أجـل أن لا تشـتبه عليهـم الأمـور» أي: أنّ صاحـب العصـر والزّمـان عجّـل الله تعالـى فرجـه وأرواحنـا فـداه يحتـاج إلـى عـدّة أشـخاص ممّن لا يشـتبه عليهم أيّ أمر، فلا يقفون وسـط العمل ليفكّروا هل هـذا صحيح؟ غيرصحيح؟ هل نفعل هـذا؟ إراقة الدّماء إلـى أين سـتصل؟ ألا يحصل هـذا؟ هذا هـو دور البصيرة والإيمان الرّاسخ والنّافذ الّذي كان يمتلكه الإمام. [١٩٨٦/٠٤/٢٦]

وقعت عند قدمي الإمام!

مع اقتراب عيد النوروز عام ١٩٦٤ خرجت من السجن واستطعت أن أذهب، ضمن تدبير معيّن، إلى المنزل الّذي كان الإمام مقيماً فيه إقامة جبريّة في منطقة قيطريّة في طهران. [١٦/٠٧/١٩٩١]

عندما خرجت من السّجن، لا أنسى حين تحلّق أصدقائي الطّهرانيّين حولي، وكيف أثارت الأمور الّتي نقلتها لهم عن السّجن الضجّة بينهم. وممّا سمعته عن لسانهم: هو أنّ بعض أولئك الخطباء الّذين كانوا في السّجن - ألقوا القبض عليهم في شهر رمضان لعدّة أيّام، أي: بعد أن كانوا قد ألقوا القبض عليّ، وقد أطلقوا سراحهم قبلي - قد ذهبوا من السّجن مباشرة للقاء الإمام الخمينيّ، فأخذتني الغبطة بأنّهم قد لبثوا في السّجن لعدّة أيّام، ربّما عشرة، أو خمسة عشر يوماً، وقد ذهبوا

للقاء الإمام الخميني بينما أنا لم أذهب. كان واضحاً أنّهم ولأنّهم كانوا مجموعة مع بعضهم البعض، قالوا لهم: بأنّهم يريدون أن يذهبوا للقاء الإمام الخميني. فأركبهم السافاك في وسيلة نقليّة وأخذهم للقاء الإمام الخمينيّ. فشعرت بالغبطة كثيراً؛ وقلت: إنّني أنا أيضاً يجب أن أذهب لأرى الإمام الخمينيّ.

فسألت ما هو العنوان؟ وكان في قيطريّة. ولم أكن أعرف الطّريق، لم أكن أعرف قيطريّة أصلاً. وبالسّؤال والأسئلة وبمشقّة بالغة أوصلت نفسي إلى قرب منزله. كانوا قد أعطوني العنوان، وبالفعل ذهبت عبر الأسئلة الكثيرة، ووصلت إلى هناك. رأيت أنّه صحيح، كان العنوان الّذي أعطوني إيّاه هو في هذا المكان. قرب هذا الشّارع الضّيّق، كانت هناك أرضاً كبيرة مُهملة، وفي آخر تلك الأرض كان هناك باباً، وكان ذاك الباب باب منزله، وأوّل ذلك الشّارع،

أمام تلك الأرض المهملة، لا في داخلها، خارج تلك الأرض كان هناك شرطيّان واقفان. فعرفت أنّه صحيح، هو هنا.

فسألت أحد الشّرطيّين: أين هو منزل السّيّد الخميني؟

فقال: ماذا تريد أن تفعل؟

قلت: أريد أن أذهب لرؤيته.

قال: لا يمكنك رؤيته.

قلت: يمكنني أو لا، أين هو منزله؟

قال: ذلك المنزل.

أشار إلى الباب وقال: هنا.

قلت: هل أنت المسؤول؟

قال: أجل.

قلت: هل تسمح لي أن أذهب لرؤيته؟

قال: كلّا.

فأخبرته عن الموضوع. قلت: كنت في السّجن، وقد جاء السّافاك ببعض علماء الدّين الّذين كانوا في السّجن لملاقاته. أنا كنت من تلامذته، وأنا متعلّق به إلى حدّ كبير، فلماذا يجب أن لا ألتقي به؟ أرجوك أن تسمح لي لرؤيته لعدّة دقائق.

فوقع تحت تأثير صراحتي وصدقي. فلقد كنت آنذاك طالب علم شابّ. ففكّرت في نفسي، لو كنت أنا في مكان ذلك الشّرطيّ، فيأتي طالب علم صادق ومليء بالحماس بهذا الشّكل، لكنت أُرغمت على إعطاءه الإذن. لكنّ الشّرطيّ الثّاني لم يقبل. وفي النّهاية تناقشوا مع بعضهم، ومن ثمّ قال أحدهم: إذهب، بشرط أن لا تطول أكثر من ١٠ دقائق.

نظرت إلى السّاعة وقلت: حسناً، ١٠ دقائق.

عندما افترقنا، حسبت أنّني سأحتاج إلى ١٠ دقائق لأصل إلى باب ذلك المنزل لو ذهبت ببطء؛ فركضت، وأوصلت نفسي إلى باب المنزل، وحين أردت أن أدقّ على الباب، إذ بي أرى السّيّد مصطفى يفتح لي الباب. عندما رآني - وقد كنت من الأصدقاء المقرّبين من السّيّد مصطفى - فرح جدّاً، وقبّلني، وحضنني. قلت له: أين السّيّد؟ فقال: السّيّد هنا، تعال ادخل.

دخلنا إلى إحدى الغرف وجلسنا. وإذ بي أرى السّيّد قد دخل. فوقعت على قدميه؛ أي: أنّ من الأشياء الّتي أذكرها هي أنّني وقعت على قدميه أردت تقبيلها من شدّة محبّتي للإمام الخميني. كان الأمر عجيباً بالفعل، أعني أنّ محبّة هذا الرّجل كانت دائماً موجودة في قلوبنا. انزعج ولم يقبل أن أقبّل قدمه. ومن ثمّ جلسنا وأخذت بالبكاء، ولم أستطع أن أتكلّم. وانزعجت من أنّه سيظنّ الآن أنّني

قد بدأت أبكي لأنّني كنت في السّجن، ولن يعرف أنّ هذا البكاء هو بسبب الشّوق إلى رؤيته. وكلّما أردت أن أكبح جماح نفسي، وأتوقّف عن البكاء، فتأخذني الغصّة، ولم أفلح في ذلك. كلّما أردت أن أتكلّم، لم أستطع، وفي النّهاية، استطعت من ذلك بمشقّة؛ لقد كانا ساكتين وينظران إليّ. فلاطفني قائلاً كيف حالك؟ ولكنّ الكلام الوحيد الّذي قلته كان هو أنّ شهر رمضان هذه السّنة، للأسف، قد ذهب هدراً مع عدم وجودك. أرجوك أن تخطّط بشكل لا يذهب به محرّمنا القادم هدراً، سيكون هذا بغيضاً. فقال نعم، وأخذ يرفع من حالتي المعنويّة قائلاً: أجل، يجب أن يحصل هذا.

كمحصّلة، جلسنا لعدّة دقائق، وقلت: لم يسمحوا لي بأكثر من ١٠ دقائق.

فوقف وودّعنا بعضنا وخرجت؛ لم يطل الأمر كلّه أكثر

من عشر أو إثني عشر دقيقة. ١٩٨٣/٠١

لم يكن دخول السّجن والمشاكل الّتي كانت تحدث، بالنّسبة لنا نحن الشّباب في ذلك الوقت، صعباً؛ بل كان الأمر أكثر شبهاً بالتّسلية؛ ولكنّ عمر الإمام في تلك السّنة، في سنة بدء المواجهة، كان ٦٣ عاماً. وفي عمر الثّالثة والسّتّين، كان هذا الرّجل يستطيع بثورة مشاعره أن يثير مشاعر شعب بأكمله. لم يكن دخول السّجن والنّفي سهلاً على شخص في ذلك العمر؛ ولكنّ هذا الفداء والتّضحية وتقبّل المخاطر كان جليّاً في هذا الرّجل. ١٩٩٩/٠٦/٠٤

كان يقول: لماذا يجب أن أخاف؟ وممّا؟ إذا قتلوني، فسأكون قد رحلت عن عمر الثّلاثة والسّتّين، وقد كان هذا عمر النّبيّ الأكرم وأمير المؤمنين عليهما السلام حين رحلا عن الحياة. وما هو الأجمل من هذا؟

لقد كان هذا هو منطقه. ١٩٩٥/١٢/٢٦

كلّما قمعتموني فهذا يصبّ في صالحي!

بعد أن تمّ إخلاء سبيل الإمام من الحبس والإقامة الجبريّة، في ١٩٦٤، وعاد من طهران إلى قم، لربّما ظنّ النّظام البهلوي في نفسه وكان يتوقّع أنّ الإمام قد ارتدع عن مثل تلك المواجهات الحماسيّة والقويّة الّتي أدّت إلى سجن هذا العظيم وإلى حادثة ٥ حزيران الدّمويّة. كان ظنّهم هو هذا، ولقد تحدّثوا معه في الأمر وفاوضوه وتكلّموا معه مرّات ومرّات عندما كان في السّجن والإقامة الجبريّة، ولكنّهم كانوا يسمعون ردّاً قاطعاً وحاسماً من الإمام بالنفي. ١٩٨٤/١١/٠٢

كان الإمام يقول أنّني قد أرسلت رسالة إلى الشّاه بأنّك أنت وجهاز السّافاك الخاص بك تقمعونني، وهذا يعود بالنّفع عليّ؛ لأنّ النّاس يؤمنون هكذا بأنّني أصيل وعلى حقّ، ويعرفون أنّني أقول الصّدق، وأنّني لو لم أكن صادقاً

لما قمعتموني إلى هذا الحد. ١٩٨٠/٠٢/١٢

ولكنّهم لم يستطيعوا أن يبقوا على سجن الإمام أكثر من ذلك، فلقد كان يؤدّي ذلك إلى مشاكل سياسيّة واجتماعيّة بالنّسبة إليهم، وكانوا مجبورين على إخلاء سبيله. كانوا يظنّون في قرارة أنفسهم أنّهم وبعد إخلاء السّبيل هذا لربّما يستطيعون أن يؤثّروا عليه بشكل مباشر أو غير مباشر، وأن يوقفوا هذه المواجهات القاسية الّتي كانت تتمّ بقيادة الإمام. ولكنّ الإمام، ومن الأيّام الأولى الّتي دخل فيها إلى قم، قام باستقبال النّاس الّتي كانت تأتي مجموعات مجموعات من كافّة أقطار البلد والمدن المختلفة. وقد استفاد الجميع من تعابير وكلمات وخطابات الإمام أنّ المواجهات مستمرّة كما كانت.

١٩٨٤/١١/٠٢

كنت آنذاك في مشهد، وسمعت عمّا حصل.

فأحضرت أبي إلى طهران، ومن هناك انطلقنا إلى قم، وذهبنا لرؤية الإمام. حين دخلت مع والدي إلى غرفته، شعرت أنّه منزعج إلى حدّ ما بسبب وضع عين والدي[1].

في ذلك اللّقاء، لا أنسى أبداً هذه النّقطة، وهي المحبّة الخاصّة الّتي أولاني إيّاها. حين قبّلت يده، أمسك بيدي لمدّة وضغط عليها في يده، بحيث شعرت أنّ هذه المحبّة هي تشجيع ونوع من إبراز العناية الخاصّة.

١٩٨٣/٠٣/٠٢

نفي الإمام

بعد مرور عدّة أشهر على إخلاء سبيل الإمام، حصلت قصّة الحصانة القضائيّة، أي حصانة المواطنين الأمريكيّين في إيران. وقد جاؤوا بهذا الأمر على شكل قانون، إنّ المواطنين الأمريكيّين - الّذين كانوا آنذاك

١- كان والد آية الله الخامنئيّ مبتلى بمرضٍ في عينيه، وقد عانى لمدّة من ضعف البصر والعمى. وقد تحسّنت حاله إلى حدّ ما بعد سنوات من العلاج الطّبيّ

حوالـي سـبعة، ثمانية، أو عشـرة آلاف أمريكـيّ أو أكثر في إيـران - يمتلكـون الحصانـة مـن النّاحيـة القضائيّـة؛ أي إذا قامـوا بارتـكاب جرم، أهانوا شـخصاً، ارتكبـوا جناية، أو مخالفة في داخل بلدنا، فإنّه ليس من حقّ أجهزتنا الأمنيّة والقضائيّة التعرّض لهم. وهذا أحد أكثر أبشع طرق هيمنة قـوّة وسـلطة سياسـيّة ما على بلـد ما. وقلّما تجـد دولة في العالـم تقبـل بهكـذا هيمنـة عليهـا. فحيـن يكـون مواطنو دولـة ما يسـكنون فـي دولة أخـرى، فإنّهم يتبعـون القوانين القضائيّـة لذلك البلد. و إذا قاموا بارتكاب جناية أو جرم، فيجـب محاكمتهـم وفقـاً للقوانيـن القضائيّـة فـي ذلـك البلد. ولكن وفقاً لما قد بيّنه الإمام في خطبته الّتي ألقاها بهذه المناسـبة، حين فصّل في شرحه للنّاس، فإنّه لو قام شـخص أمريكيّ عاديّ بإهانة أعلى سـلطة فـي الدّولة، لو صفعـه على وجهه، فإنّه ليس له الحقّ بملاحقته؛ ويجب

أن يقوم نفس الأمريكيّين بتشكيل محكمة ومحاكمته وأن يصدروا الحكم كما يرونه مناسباً.

كان قانوناً مذلّاً وقراراً استعباديّاً بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، يذهب بماء وجه الشّعب الإيراني وشرفه وعزّته، ويزيد من هيمنة الأمريكيّين. بالطّبع فإنّ الأمريكيّين كانوا بحاجة لهذا الأمر. فإنّهم، وبعد أن شعروا أنّ المواجهات في إيران تأخذ منحىً جدّيّاً وشعبيّاً، وبناء لتخيّلاتهم الواهمة عن مستقبل هذه المواجهات، كانوا يحتاجون إلى أن يزيدوا من نفوذهم في البلد يوماً بعد يوم. ولربّما لولم تتمّ مواجهة هذا القانون بردّة فعل قويّة، لحصلت أمور أخرى بعد ذلك. وقد تصدّى الإمام لهذا الأمر بشكل حازم.

لقد قام الإمام هذه المرّة، كما في المرّات السّابقة، بالشّرح للنّاس عمّا يحصل، وتكلّم معهم، وقد انتشر

خطاب الإمام عبر مئات، بل آلاف الشّبّان الحريصين والمهتمّين، في الحوزة العلميّة وسوق طهران والجامعة وأماكن أخرى، في كافّة أنحاء الوطن. وقد عرف الجميع أنّ إمامهم الحبيب والعظيم يتعامل مع هذا الموضوع بهذا الشّكل.

طبعاً كان بإمكان النّظام أن يتوقّع ردّة فعل النّاس. ولو أكمل الإمام حركته تلك فسيكون في هذا الأمر خسارة للنّظام لا يمكن جبرها؛ ولذا قاموا بمحاولة لإصلاح هذا الأمر وقاموا ليلاً بخطف الإمام من منزله في قم، وأخذه مباشرة إلى مطار طهران، ونفوه في طائرة من نوع سي - ١٣٠ إلى خارج الوطن. [١٩٨٤/١١/٠٢]

كنت قد عدت من قم إلى مشهد منذ بضعة أشهر وكنت أنوي البقاء في مشهد. وفي الأسبوع الأوّل لزواجي حصلت قصّة نفي الإمام إلى تركيا.

فـي اليـوم التّالـي لنفـي الإمـام، أقيمـت جلسـة مهمّـة جـدّاً في مشـهد، فـي منـزل السّـيّد القمّي. اجتمـع هناك كافّـة علماء مشـهد. لقـد أراد السّـيّد القمّـي أن أتفاعل أنا والشّـيخ واعظ الطّبسـي، وشخص أو شـخصين أيضاً في تلـك الجلسـة، وأن نقـوم بإيجـاد حمـاس وحـرارة تبعـث علمـاء مشـهد علـى القيـام بتحرّك عـام؛ مثـل: الإضراب وعـدم الذّهـاب إلى الصّلاة وأحياناً الإعتصام في مسـجد كوهرشـاد. صـادف ذلك اليـوم، اليوم الّـذي كنت أذهب فيـه في العـادة، إلى منزل والد زوجتي. فذهبت إلى هناك وقلت لزوجتي: إنّه سـيكون هناك هكذا جلسة ويجب أن أذهـب ويمكن أن لا أعود؛ فلربّما يتمّ سـجني، أو قتلنا، أو يفعلـون شـيئاً ما. فرأيت أنّها ثابتة وجاهـزة لتقبّل كلّ هذه الأمور. [١٩٨٢/٠٥]

فـي ذلـك اليوم الّـذي تمّ فيه نفـي الإمـام، كانت هناك

ردّات فعل في كافّة أنحاء البلد من علماء الدّين والحوزات العلميّة والفئات المختلفة؛ ولكنّ النّظام، ولأنّه كان مرتاح البال من ناحية الإمام، وقد قام بنفي هذا العظيم إلى خارج البلاد، فقد قام بالتّعامل بقسوة، وألقى القبض على المحرّكين الأساسيّين، وقام بجعلهم في إقامة جبريّة أو سجنهم أو نفيهم. ١٩٨٤/١١/٠١

كان بعيداً ولكنّه كان يقوم بتوجيه النّاس

بعد نفي الإمام، كانت هناك حالة من اليُتم وفقدان الأب بين المناضلين وبالأخص في الحوزات العلميّة ١٩٨٤/١٠/٢٩ ولكنّ المواجهة قد دخلت مرحلة جديدة. في هذه المرحلة كانت المواجهات قد أخذت منحىً منظّماً ضمن حركات منسجمة ومؤسّسات وتشكيلات وأحزاب.

١٩٨٤/١١/٠٢

ضمن الأربعة عشر عاماً الّتي كان فيها في المنفى،

كنّا بعيدين عنه في الظّاهر؛ ولكنّنا كنّا نمضي وفقاً لرؤية وخطّ الإمام، ولم نكن منفصلين عنه. لقد كنّا في تلك السّنوات الأربعة عشر مع الإمام حقّاً. وطوال هذه المدّة، وبالأخصّ في السّنوات الأخيرة، أي من السّنوات ١٩٧٠ و١٩٧١ وحتّى ١٩٧٥ و١٩٧٦، زادت حدّة الخناق والضّغوطات. كانت المجموعات، الفرق، والأحزاب السّياسيّة المختلفة - السّريّة والمناضلة، السّياسيّة وغير السياسيّة - تخرج إلى الوجود، ومن ثمّ تضمحلّ تحت ضغط النّظام وتفنى أو تصبح غير ذات فائدة. على الرّغم من أنّه كان لبعضها دعماً سياسيّاً دوليّاً، من محاور الشّرق والغرب[1]، وبالأخصّ المتّصلين بالشّرق، وكان يتمّ توجيههم ومساعدتهم من هناك؛ ولكنّ ثورة الإمام لم تكن تعتمد على التّشكيلات الحزبيّة. لم يكن للإمام

١- محور الشّرق والغرب هو مصطلح وُجد بعد الحرب العالميّة الثّانية. المحور الغربي يعني أمريكا والدّول الّتي تتبع لها؛ ومحور الشّرق يعني الإتّحاد السّوفياتي والدّول الّتي تتبع لها

أيّ تشكّل حزبيّ في داخل الدولة؛ بل كان له بعض من الطّلّاب والأصدقاء والمطّلعين على فكره وعموم النّاس. وحينما كان الإمام يوجّه رسائله من خلال البيانات، لم يكن يخاطب أولئك الأصدقاء والمعارف الّذين على علاقة به؛ كان يخاطب عموم النّاس. لقد كان يتكلّم مع عموم النّاس ويوجّههم، واستطاع خلال أربعة عشر عاماً، أو خمسة عشر، أن يعمّق من بعيد جذور الفكر الإسلامي والنّهضة الإسلاميّة في الأذهان. ثانياً استطاع أن يوسّعها على صعيد المجتمع؛ فيعلّق قلوب الشّباب والأذهان والاعتقادات بها، لكي تتحضّر الأرضيّة لتلك الثّورة العظيمة.

كان كثيرون في داخل البلد يقومون بأعمال عظيمة بإخلاص وتضحية؛ ولكن لو لم تكن محوريّة الإمام موجودة، لم يكن ليتحقّق أيّ من هذه الأعمال، ولضاعت

كلّ هـذه الجهـود وأُرهق جميع هؤلاء النّـاس. لقد كان هو الشّخص الّذي لا يمكن أن يتعب، وكان الآخرون يتقوّون به ويستلهمون القوّة منه. ١٩٩٩/٠٦/٠٤

مطلب الحكومة الإسلاميّة

في العام ١٩٦٩، أسس الإمام الخميني في النجف، مركز الفقاهة، فكر «ولاية الفقيه» بالاعتماد على الركائز الفقهية المحكمة. ولاية الفقيه هي بالطّبع من مسلّمات الفقه الشّيعي. قد يقول بعض غير المحصّلين: لقد أبدع الإمام الخميني ولاية الفقيه، ولم يكن سائر العلماء موافقين عليها.

هذا نابعٌ من عدم الاطّلاع. من هو محيطٌ بكلام الفقهاء يعلم أن قضيّة ولاية الفقيه من بين القضايا الجليّة والواضحة في الفقه الشيعي. ما فعله الإمام الخميني هو أنّه استطاع تدوين هذا الفكر نظراً للآفاق الجديدة

والعظيمة التي يشهدها العالم المعاصر والسياسات الحاليّة والمدارس المعاصرة، وجعل هذا الفكر متجذّراً وثابتاً ومبرهناً وذا جودة؛ أي: أظهره بشكل يجعل أيّ إنسان صاحب رأي في القضايا السياسيّة المعاصرة ومطّلع على المدارس السياسيّة المعاصرة قادراً على فهم هذا الفكر واستيعابه. ١٩٩٩/٦/٤

عندما طُرحت ولاية الفقيه - قضيّة الحكم الأساسيّة في الإسلام - بواسطة الإمام الخميني بشكل استدلالي ومبنائي، عقد العلماء، المفسّرون والخبراء الإسلاميّون جلسات عديدة في مختلف أنحاء البلاد والحوزات العلميّة من أجل تفسير الأسس الإسلاميّة والقضايا الرئيسيّة المرتبطة بالمعرفة الإسلاميّة. ١٩٨٤/٢/١ وتغيّر شكل المواجهة. لم يكن هناك اعتراض حتى ذلك اليوم على أعمال الأجهزة الحاكمة والنظام البهلوي، ولم يكن

ليعترض أحد على ظلمهم وجورهم وسيّئاتهم وغيرها من الأمور. منذ تلك اللحظة تغيّرت القضيّة بالنسبة للخواص، ولدائرة أوسع بشكل تدريجي. باتت القضيّة هي أنّ هؤلاء يحكمون هنا بلا مُبرّر، يجب أن يتمّ تأسيس حكم إسلامي في هذه البلاد. ١٩٨٩/٥/١

لقد جسّد الإمام الخميني تجربة إدخال الإسلام إلى صلب الحياة العمليّة التي كانت تبدو مستحيلة وغير قابلة للتحقّق. وقد جسّد الإمام الكلام الذي كنّا قد قرأناه في الكتب. صرّحنا بذلك مراراً في السابق؛ لكن كانت هناك تصوّرات تجعل بعضها أشبه بالخيال؛ سيادة الإسلام، وقوّة الإسلام، وعزّة الإسلام، وحضور الإسلام في كافّة الساحات العالميّة، وتلك الدعوة العامّة المقتدرة والتي تترافق مع شموخ الإسلام؛ لا الدّعوة من موضع الضّعف والموضع الفردي؛ بل الدّعوة العامّة ضمن

الأجواء الإنسانيّة. هذه القضايا التي قرأناها في التاريخ وكنا قد سمعناها وأنشد شعراؤنا فيها أبياتاً من الشّعر:

«نحن الذين كنا نأخذ الجزية من الملوك

ثمّ بعد ذلك أخذنا منهم الملك والتاج»[1]

كان مجرّد شعر لكنّ الإمام الخميني حقّقه. ٢/٦/٢٠٠١

وجّه الإمام الخميني الجليل فقه الشيعة منذ المرحلة التي كان منفيّاً فيها نحو الفقه الاجتماعي، والفقه الحكومي، والفقه الذي يسعى لإدارة نظام حياة الشّعوب، وعليه أن يجيب على أصغر وأكبر مسائل الشّعوب. ٤/٦/١٩٩٧

كنت قد سألت إمامنا الخميني العزيز (أعلى الله مقامه): منذ أيّ مرحلة بدأتم التفكير بتأسيس حكومة إسلاميّة؟ وهل كانت لديكم نيّة لفعل ذلك قبل تلك المرحلة؟ أجابني سماحته: لست أذكر بدقّة تاريخ خطور

١- أديب الممالك الفراهاني، شعر تهنئة بولادة الرسول الأكرم

قضيّة الحكومة [الإسلاميّة] في ذهني؛ لكنّني كنت منذ البداية أفكّر بتحديد تكليفي، لكي أعمل به، وما حدث كان إرادة الله عزّوجل.

لقد وضع الإمام الخميني العزيز بإيمانه وجهاده وإخلاصه وعمله الصالح الحجر الأساس للحكومة الإسلامية في إيران وأنزل الله عزّوجلّ نصره عليه؛ وإله العالم أصدقُ القائلين إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1]، مَن كانَ لِلهِ كانَ اللهُ لَهُ[2]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[3]؛ هذه الآيات والروايات تدلّ على الواقع والحقيقة. ١٩٨٩/٧/١٢

لطف الله الخفيّ!

عقب قضيّة رحيل نجل الإمام الخميني، تجلّى بُعدٌ

١- العنكبوت: ٦٩

٢- بحارالأنوار/ كتاب الصلاة/ أبواب فضلها وعللها وأنواعها وأوقاتها

٣- الحجّ: ٤٠

آخر من أبعاد هذه الشخصيّة العظيمة. كثيرٌ من النّاس عظماء، وعلماء، وشجعان؛ لكنّ أولئك الذين تمتدّ هذه العظمة داخل عواطفهم وفي زوايا وأعماق قلوبهم ليسوا كثيرين. ذلك الرجل المسنّ الذي رحل ابنه عندما ناهز عمره على الثمانين عاماً في ذلك الزّمان، عندما رحل ابنه الفاضل والمميّز عن الدّنيا، نُقلت عنه جملة كانت: موت مصطفى من الألطاف الإلهيّة الخفيّة. ١٩٩٩/٦/٤

أحدثت وفاته حالة من الحزن العميق بين الناس الّتي تحوّلت إلى مجالس غضب واعتراض ضدّ النظام.

بعد أن تلقّينا خبر وفاة السيّد مصطفى رضوان الله تعالى عليه، خطّطنا في مشهد من أجل اتخاذ المواقف اللازمة. ذهبت إلى مؤسسة البريد والبرقيّات وكتبت ٤ برقيّات تعزية[١]؛ الأولى باسمي، وأخرى باسم الشيخ الطبسي والثالثة باسم السيّد

١- كان نصّ برقيّة السيّد الخامنئي فارسياً لكنّه كان مكتوباً بالحروف الانكليزيّة. لم يكن متاحاً في ذلك الزمان إرسال تلغراف باللغة الفارسية.

محامي والرابعة باسم السيّد هاشمي نجاد.

عندما سلّمت البرقيّات إلى عامل البريد، استغرب وذهب لكي يُريها لأصدقائه. انتشرت حالة من الهلع بين الموظّفين؛ لأنّ نص برقيّات التعزية تضمّن عبارات تتسبّب بأزمة للنظام؛ بسبب ما ورد فيها من تكريم لشخصيّة الإمام الخميني والتضامن العميق مع الآلام التي كان سماحته يتحمّلها.[1]

بداية كان الحاج السيد مصطفى شخصاً ورعاً جدّاً ولا يكترث بالمظاهر الدنيويّة والزّخارف وأمثال هذه الأمور. وعادة ما كان الأشخاص الذين يتمتّعون مثله في الحوزة بشهرة معيّنة، أو كان والدهم شخصيّة معيّنة، وكانوا أبناء لشخصيّات مهمّة؛ كان حال لباسهم وزيّهم وحركاتهم ومنزلهم وأمثال هذه الأمور ذات خصوصيّة معيّنة تدلّ

١- من كتاب المنفى

بوضوح أنّ هذا الشّخص ابن شخصيّة مهمّة.

فعندما كان [هذا الشخص الفلاني] يسير بين طلاب الحوزة، كان واضحاً من طريقة جلوسه ونهوضه بأن هذا ابن شخصيّة مرموقة. لم يكن السيّد مصطفى كذلك على الإطلاق؛ لا في ثيابه، ولا في عبائته، ولا في حذائه، ولا في حياته الخاصّة، ولا في منزله، لم يكن ليُلاحظ فيه أبداً أيّ نوع من أنواع التباهي وأمثال هذه الأمور. وفي بدايات زواجه - أظنّ في بدايات زواجه عندما لم أكن أنا في قم خلال تلك الفترة - كان الإمام الخميني قد فصل من منزله باحة صغيرة تبلغ حوالي الأربعين أو خمسين متراً - ولا أعتقد أن المساحة كانت أكثر من ذلك - وحوّلها إلى غرفتين صغيرتين؛ هذا كان منزل الحاج السيد مصطفى [الخميني].

ثمّ بعد مرور فترة عندما زاد ذهاب وإياب الإمام

الخميـنـي، خـلال فترة النضـال، وكان الإمام يسـتفيد من هذه الباحة الخارجيّة، اسـتأجر سـماحة الإمام الخميني منـزلاً للسـيد مصطفـى؛ أي: أنّ السـيد مصطفـى هـو مـن استأجر وكان منزلاً عاديّاً للغاية. كانت حياته حياة محقّرة للغايـة، لقـد كان باختيـاره هـو، ورعـاً وعديـم الاكتـراث.

١٩٨٣/١٠/١٢

كان في صلب النّضال، لكن دون أيّ ادّعاء وتباهٍ.

كان مُذهـلاً أنّ السـيد مصطفـى كان شـأنه فـي منـزل الإمـام الخميـنـي شـأن أحـد المتردّديـن إلـى هـذا المنزل وأحـد الذين يتردّدون بشـكل طبيعي إلـى هذا المنزل، لم يكـن أحد ليشـعر بأنّه نجـل الإمـام؛ كان كالآخرين. حتّى أنّ مراجعتـه للإمـام كانـت ضمـن الحـدّ الـذي يراجـع به الآخرون سماحة الإمام الخميني. ١٩٧٩/١٠/٢٢

خصائص السـيّد مصطفى دفعت النظام لسجنه. بقي

فترة في السجن ثمّ نفوه. ذهب بداية إلى الإمام الخميني في تركيا ثمّ رافقه إلى النّجف. وبعد ذلك لم نلتقِ به؛ لكنّ بعض الأصدقاء الذين كانوا يأتون من النجف ويخالطونه عن قرب، كانوا يقولون بأن كافة الخصائص الإيجابيّة وخاصّة ميزة الزهد ترتقي وتتسامى لدى سماحته.

أن يكون المرء ابناً لشخصيّة العالم الإسلامي الأولى ويعيش بهذا الزّهد، ويستلم شهريّة السادة [المراجع] في النّجف ويعيش بهذه الشّهرية؛ هذا على درجة عالية من الأهميّة. وقد كان الإمام الخميني يحبّه ومتعلّقاً به بشدّة. والصّبر الذي أبرزه الإمام أمام هذه الحادثة جعل وجه سماحته المبارك يشعّ بالنور كالشمس الساطعة. كنت في مشهد عندما بلغنا الخبر. لم يكن بعض الأصدقاء ليصدّقون ذلك؛ لشدّة هول المصاب وعظمته. ١٩٩٧/٩/٢٩

هذا الصّبر الكبير أمام هذا الحدث العظيم هزّ الشعب،

وجعل أمواج هذا المحيط تتلاطم. لقد كان هذا الحدث عظيماً في حدّ ذاته؛ لكنّ أسلوب تعامل هذا الأب أمام هذا الحدث جعله أكبر وأعظم بعشرات المرّات. لقد عرف الشّعب فجأة إمامه الخميني. وخضعت الأرواح العظيمة والصّلبة والعصيّة على الإنحناء أمام هذه الروح التي تفوق كلّ تلك الأرواح عظمة. فالجميع ردّدوا عبارة آمنّا وصدّقنا. لقد أثبت [سماحته] أنّه قائد ورجلٌ عظيم. أثبت أنّه إنسان ذو منزلة رفيعة وبدأت الأحداث بعد ذلك. ١٩٧٩/١٠/٢٣

شعر الشّعب بأنّ عليه أن يُثبت وفاءه لهذا القائد. ذاك الذي وطوال ١٤ عاماً كانت تُعتبر صوره، واسمه، ورسالة استفتاءاته، وأصحابه، وأفكاره وعقائده؛ كان يُنظر إليها كلّها كالبضائع المهرّبة في هذه البلاد؛ مَن كانت مناصرته أعظم جريمة؛ مَن شخّص الأعداء في العالم

من خلال تجربتهم والاستفادة من أجهزتهم الاستخباريّة بشكل صحيح أنّ عدوّهم الحقيقي والنهائي في إيران هو سماحته؛ ها هو قد ظهر في الميدان الآن. شعر النّاس فجأة بمسؤولية على عاتقهم فيما يخصّ الإعراب عن الحبّ والإخلاص لسماحته ومناصرته. شعروا بالدوافع في ذواتهم. انطلق الناس ضمن التحرّكات وبات النظام الجبّار يواجه حدثاً مفاجئاً غير محسوب. لم يكن يظنّ أنّ هذه الشهادة ستُحرّك الناس بهذا الشكل. لم تكن الأدمغة المفكّرة في السافاك والسي آي ايه تستطيع إدراك عمق القضيّة ورؤية جوانبها الروحانيّة والمعنويّة. لم يكونوا يظنّون بأنّهم سيواجهون بعد هذا الحدث كلّ ردود الفعل هذه. ١٩٧٩/١٠/٢٣

قضيّة مراسم الأربعين وقيادة الإمام الخميني

بعد رحيل السيد مصطفى الخميني ظنّوا أنّه يجب

العمل على إسقاط هذه الشخصيّة النورانيّة من أعين الناس وكتبوا ذلك المقال. ١٩٧٩/١٠/٢٢

أرادوا القيام بردّ فعل على سلوك النّاس وتحرّكاتهم؛ وبدأوا بثّ الدعايات في الصّحف، ووجّهوا إهانة للإمام الخميني، وأهانوا السيّد مصطفى عبر دعاياتهم في الصّحف[1]. وقد نجمت عن هذه الإهانة ردود فعل قاسية للغاية، حيث انطلقت ردود الفعل هذه من مدينة قم.١٩٨٤/٢/١ ثارت قم وثار الشّعب. كان الشّعب متلألأ في قم. ١٩٧٩/١٠/٢٢

بالفعل وبالمعنى الحقيقي للكلمة، بدأ توجيه تحرّكات الناس في الشوارع وتواجدهم في الساحات وثباتهم أمام قبضات النظام الحديديّة والقاسية. ملأ هؤلاء الشباب

١- بأمر من الشاه تمّ إدراج مقال بنيّة توجيه الإهانة للإمام الخميني وعلماء الدين بواسطة أحد مستشاري البلاط وتحت اسم مستعار في جريدة اطلاعات بتاريخ ١٩٧٨/١/٧ تحت عنوان «إيران والاستعمار الأسود والأحمر».

القميّون الشوارع وسُفكت دماؤهم في الطرقات؛ طبعاً أزعجوا رجال نظام الطاغوت كثيراً! فقد كانت حنكة وذكاء شباب قم تجعل رجال الأمن في حيرة شديدة.

٢٦/١٠/٢٠١٠

في ذلك اليوم الذي تلقّينا فيه خبر حادثة ١٩ دي [١٩٧٨/١/٩]، بعد تأخير ليومين أو ثلاثة، كنت حينها في بلوشستان، في إيرانشهر.(١)

لم تكن وسائل الإعلام تنشر الخبر، ولم يكن السّفر إلى تلك المناطق كسائر المدن وكان التردد إليها محدوداً. عندما سمعت أنّ قم شهدت هذه الأحداث، تجلّى أمام عيناي منعطف جديد؛ لم نشهد مثل هذه الأحداث طوال نهضتنا المستمرّة منذ ١٥ عاماً. شهدت هذه الفترة

١- كان قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي منفيّاً في العامين ١٩٧٧ و١٩٧٨ لمدّة ٢٨٥ يوماً في مدينتي إيرانشهر وجيرفت. وقد تمّ شرح أحداث فترة نفي سماحته في كتاب «المنفى».

كلّ شي، من سجن ونفي وتعذيب ونضال سياسيّ ونضال سرّي والتجمّع من أجل إلقاء الخطابات والتصريح بالكلام الهام أو سماع الكلام الهام، ثمّ بعد ذلك تحمّل اعتداءات النظام؛ كانت لدينا كلّ هذه الأمور. وما لم نشهده كان هذا الحدث الجديد الذي وقع وتلك المشاركة الحتميّة والملموسة للناس في الشوارع. ١٩٨٧/١/٨

ممارسات النظام العنيفة سرّعت عمليّة النّضال. فاستشهد بعضهم في قم. وأقام أهالي مدينة تبريز مراسم أربعين شهداء قم وكانت مهيبة وتنمّ عن مشاعر الاعتراض. ١٩٨٤/٢/١

وبمناسبة أربعين شهداء تبريز، أقام أهالي مدينة يزد مراسم تأبين مهيبة اعترضوا فيها على النظام الحاكم. وقام النظام بردود فعل استشهد على إثرها عدد من أهالي مدينة يزد.

انطلقت مراسم الأربعين وتسارعت [هذه الظاهرة]، ثمّ بعد مرور عدّة أشهر تشكّلت في كافّة المدن الكبيرة والصغيرة في إيران ثورات شعبيّة حاشدة على شكل مسيرات، وجلسات، وخطابات لاذعة وتوزيع للبيانات في كلّ أنحاء البلاد. ١٩٨٤/٢/١

وفي كلّ المراحل، كان الإمام الخميني في مختلف الأحداث يقود الناس ويوجّههم لما ينبغي عليهم فعله، وباتت هذه المرحلة الثانية والمفصليّة في النّضال، حيث انتقلت المواجهة مرّة أخرى من شكلها الهادئ وطويل الأمد والجذري إلى مرحلة الحماس والغليان العام والمعارضة القويّة للنظام من قبل الشّعب. ١٩٨٤/٢/١

القائد يعني ذلك الإنسان الرفيع والعظيم القادر على تحديد مستلزمات التاريخ الطبيعيّة في اللحظات المناسبة، وتشخيص حاجات الإنسان الطبيعيّة،

وتشخيص الآلام كما يفعل الطبيب، واقتراح وتحديد العلاج المناسب لها. القائد يعني ذلك الإنسان الرفيع الذي يتصرّف انطلاقاً من رؤيته ومعرفته؛ ذلك الذي يدرك ما تحتاجه كلّ مرحلة، وفي كلّ لحظة من لحظات التاريخ، أيّ عمل هو العمل الصّالح، والإمام الخميني كان قائداً بالفعل وبما للكلمة من معنى. فقد قدّم للأمّة الدّفع المناسب في كلّ لحظة مناسبة، ولبّى حاجات هذه الأمّة بالشّكل المناسب.

القيادة ليست أمراً يُتّفق عليه بحيث يجلس بعضهم ويختارون شخصاً للقيادة. ففي أيّ قافلة، ذاك الذي يستيقظ قبل الجميع في الصباح ويوقظ الآخرين، ويعرف الطريق أكثر من الجميع، ولا يهاب الأخطار، ويتقدّم الجميع في السير، ويسارع قبل الجميع للحضور في الميدان، ويعود بعد الجميع في الليل وينام بعد الجميع،

ويفكّر بهموم الجميع، يفتح لهم الطريق، ويوقظ النائمين، ويُشجّع خلال السير أولئك المحبطين والمتأخّرين؛ يكون القائد؛ إن صرّحوا بذلك أو لا، إن سمّوه قائداً أو لم يفعلوا ذلك. القيادة أمرٌ طبيعي وقهري، وقد أثبت الإمام الخميني قيادته بشكل عملي، لقد أثبت قيادته لجميع الأذهان. ١٩٧٩/١٠/٢٢

أمّة لوحده

بعد مدّة بدأت قضيّة مهاجرة ذلك العظيم [الإمام الخميني] إلى الكويت ومن ثمّ إلى فرنسا. ١٩٩٩/٦/٤ تاه العدوّ، لم يعرف كيف خرج الإمام من النجف وذهب باتّجاه الكويت. احتاروا وقالوا على الفور: لا تسمحوا له بالعبور، أرجعوه؛ فأرجعوه. كانوا يفكّرون بالمكان الذي سيتّجه إليه؛ لا بدّ أنّه سيذهب إلى ليبيا، أو لا بدّ من أنّ مقصده سوريا، إلى الشّام، إلى جانب مرقد السيّدة زينب؛

لا بدّ أنّه سيذهب إلى أماكن كهذه. فجأة رأوا أنّه ظهر في باريس؛ قلب المنطقة التي تدّعي الحريّة!

فرنسا أمّ الديموقراطية في أوروبا، وهي تتباهى بأنّها تحتوي كلّ الأفكار والآراء، وأن كلّ صحف اليمين واليسار تُباع في شوارعها بمنتهى الحريّة. فلماذا لا تتحمّل هذا الرّجل العالم المناضل؟ لماذا يرسلون إليه بعد عدّة أيام من دخوله بأنّه لا يحقّ لك إجراء أيّ حوار؟ لقد فُضحوا في الخطوة الأولى. ١٩٨٠/٣/٥

قال الإمام الخميني: إن لم يسمحوا لي بالإقامة في بلد ما فسوف أسافر من مطار إلى مطار وأبلّغ رسالتي للعالم كلّه. تلك العظمة، وتلك الشجاعة، وسعة الصّدر، وتلك الاستقامة الفريدة، وقدرة القيادة الإلهيّة والنبويّة تجلّت هنا مرّة أخرى. وقد كان هذا بُعداً جديداً من أبعاد شخصيّة ذلك الرّجل العظيم. ١٩٩٩/٦/٤

لقد كان الإمام لوحده بحجم أمّة <إِنَّ إِبراهيمَ كانَ أُمَّةً >[1] كان أمّة في حدّ ذاته؛ لقد وقف بعظمة كشجرة وحيدة في صحراء لا زرع فيها، تعصف فيها الأعاصير والعواصف الرمليّة، وتحرقها الشمس اللاهبة، فانتصر على العطش والقحط وحوّلها إلى أراض خضراء وعطرة.

١٩٧٩/٨/٢٢

أحد الإخوة الأعزّاء الذي كان في باريس في خدمة الإمام الخميني نقل لي: إنّ المراسلين سألوا الإمام: إلى أيّ درجة أنت مطمئن من تحقيق النّصر؟ فأجابهم الإمام قائلاً: نحن منتصرون الآن. قال الإمام هذا عندما كان الشّاه لا يزال يعقد الأمل على أنّ قوات الكماندوس الأمريكي ستهاجم الناس وترتكب مجزرة بهم؛ ولو قتلت مليون شخص. وقد كان ذلك محتملاً، وكان من الممكن

١- النحل: ١٢٠

أن يقوموا بذلك؛ كما أنّهم استعرضوا نموذجاً لذلك في ١٧ شهريور [١٩٧٨/٩/٨][1]. في تلك الظروف، قال الإمام الخميني: نحن منتصرون. ١٩٨٤/١/٢٤

وصل بيان الإمام الخميني المعروف قبل محرّم. وقد قال سماحته حول محرّم في ذلك البيان: «الشهر الذي انتصر فيه الدّم على السّيف».

عندما وصل ذلك البيان، وبتلك التعليمات التي كان سماحته قد أوردها فيه، بأن شكّلوا التجمّعات، في المساجد، في الساحات، لا تعطوا إلتزاماً للأجهزة، لا تستسلموا لتعطيل مجالس العزاء، وصل هذا البيان بكلّ هذه التعليمات الّتي ستراق فيها الدّماء حتماً، شعرنا بأنّ علينا أن نسخّر كامل قوانا من أجل إحياء مضمون هذا البيان. ١٩٨١/١٢/١٥

١- نموذج آخر على إبادة الناس حدث في يومي ٣٠ و٣١ ديسمبر عام ١٩٧٨م في مدينة مشهد. تمّ سرد أحداث هذين اليومين في رواية «السنونو» الخاصّة بالناشئة.

في مرحلتين، ربط الإمام الخميني قضيّة النهضة بقضيّة عاشوراء؛ الأولى كانت خلال الفترة الأولى للنهضة؛ أي: في أيام محرّم عام ١٩٦٣ عندما أصبح ذكر شؤون النّهضة رائجاً على المنابر في الحسينيّات ومجالس العزاء، وهيئات اللطم ومجالس قرّاء العزاء وذاكري المصائب المتديّنين؛ والأخرى كانت في الفترة الثانية للنهضة، أي: في محرّم عام ١٩٧٨ عندما قال الإمام الخميني: فليتمّ إحياء وتعظيم شهر محرّم، وليقم النّاس مجالس العزاء. وجعل سماحته عنوان هذا الشّهر «شهر انتصار الدّم على السّيف» ثمّ انطلق الإعصار الشّعبي العامّ مجدّداً؛ أي: أنّ قضيّة النّهضة والثورة كانت ذا روح وتوجّهات حسينيّة، وارتبطت بحادثة ذكر المصاب الحسيني وذكرى الإمام الحسين. ١٩٨٩/٨/٢

بعد شهر محرّم، وخلافاً لآراء غالبيّة الذين كانوا

يتطلّعون إلى القضيّة على أنّها أمر عادي، قرّر الإمام الخميني أن يعود إلى إيران وظهر سماحته في إيران واحتدمت المواجهة. ١٩٨٠/٣/٥

القهوجي

خلال الأسابيع الأخيرة قبل انتصار الثورة الإسلاميّة تمّ تأسيس مجلس شورى الثورة الإسلامية. وكنت قد ذهبت إلى مشهد من أجل إحياء شهر محرّم، وطال الأمر قليلاً، طال عدّة أسابيع. كنت أودّ العودة في وقت أبكر، ولم أوفّق لذلك. بعث سماحة الشيخ مطهّري إليّ برسالة بأن عليّ أن أعود فوراً إلى طهران، وقال: بأنّهم يحتاجونني لأجل عمل معيّن؛ ثمّ عندما تأخّرت بضعة أيام أرسل سماحته لي رسالة مرّة أخرى، وأكّد عليّ أن آتي. عندما جئت إلى طهران أخبروني بأنّ الإمام أمر بأن أكون ضمن مجلس شورى الثورة الإسلاميّة. ١٩٨٤/٤/٣٠

أظنّ أنّني كنت أصغر شابّ في مجلس شورى الثورة الإسلامية، كنت أبلغ من العمر ٣٩ عاماً. طبعاً انضمّ بعض الأشخاص فيما بعد الذين أصغر منّي حينها؛ لكنّني كنت الأصغر بين الذين كانوا أعضاء في مجلس شورى الثورة الإسلامية منذ البداية. ١٩٩٩/٢/٢

قبل عودة الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، كنّا قد اعتصمنا في جامعة طهران، وكان قد بقي على عودة الإمام ٤ إلى ٥ أيام، عقدنا اجتماعاً مع الأصدقاء. كان غالبيّة الأصدقاء من علماء الدّين، قلنا: حسناً، سيعود الإمام الخميني في غضون أيّام إلى طهران؛ سيتدفّق النّاس ويتّجهون صوبنا؛ لكلّ واحد منهم شأنٌ معيّن، قضيّة معيّنة وكلامٌ معيّن. علينا أن نكون مستعدّين منذ الآن، وننظّم منذ الآن هيكليّة تُدير شؤون بيت الإمام. يجب أن يتكفّل كلّ واحد بتحمّل مسؤوليّة معيّنة. وافق

الجميـع على أن نجتمع ونفكّـر حول هذه القضيّة. عقدنا اجتماعاً.

قلت لهم: أنا أتكفّل بأن أكون القهوجي. ضحك الرّفاق، وقالـوا: هل تمزح؟ أجبتهم: لا، لسـت أمزح. على العكس ولأنّني من [محبي الشـاي] وشاربيه بشكل مستمرّ؛ فلديّ القـدرة علـى تحضيـر شـاي مميّـز. أنـا سـأكون القهوجي. قالـوا: ليـس الوقتُ الآن وقت مزاح. أجبتهم: لسـت أمزح، أتحدّث بمنتهى الجديّة؛ بيت الإمام يحتاج إلى قهوجي، وأنـا سـأكون ذاك الشـخص. هـذا الـكلام جعـل جلسـتنا تتّخـذ مسـاراً جيّداً. ثمة بونٌ [شاسـعٌ] بيـن أن يجلس كلّ واحـد منّـا ويُعيّـن هدفـاً لنفسـه ويتناقش حول مـن يكون رئيـس هـذا التنظيـم؟ أنـا أحـدّث نفسـي بأنّـي الأنسـب، وأنـت تحـدّث نفسـك بأنّك الأنسـب، سـينتج عن ذلك نـزاع واعتـراض. لقد قمـتُ في خِضَمّ هذا النّـزاع بترطيب

الأجواء كما يقول المصارعون الشعبيّون. قلتُ: بأنّ عملي سيكون استلام مسؤولية القهوجي، فَلانَ الجميع وأثمرت عن تلك الجلسة نتائج مميّزة. [١٩٩٣/٧/٢٩]

من النّاس ومعتمدٌ على النّاس

يوم دخول الإمام كان الجميع مسرورين، وكانوا يضحكون. وقد كنت أنا أذرف الدّموع جرّاء قلقي ممّا قد يصيب الإمام، ولم أكن أعلم ما قد يحلّ بالإمام؛ لأنّ التهديدات كانت موجودة.

ثمّ اتّجهنا صوب المطار ودخلنا إليه. دخل الإمام بتلك الحال. بمجرّد أن ظهر السّكون على وجه الإمام، زالت مخاوفنا وانتهى قلقنا بشكل كامل. أي: أنّ الإمام بطمأنينته منحني وقد يكون منح كثيرين غيري الهدوء والسكينة. عندما رأيت الإمام بعد سنوات مديدة زال تعب هذه السنين فجأة من جسدي. شعرت بأنّ كلّ تلك

الآمال مجسّدة في وجود الإمام وها قد تبلورت كلّها أمامنا بكلّ صلابة واكتسبت وجوداً حقيقيّاً ينمّ عن الانتصار.
١٩٨٤/١/١٤

في الحقيقة، لقد تحقّق في حقّ أصحاب الإمام مع دخوله مفهوم آية ﴿فَإِذا دَخَلتُموهُ فَإِنَّكم غالِبونَ﴾[١] التي قالها الله لأصحاب النّبي موسى عليه السلام. عندما دخل الإمام سجّل الله عزّ وجلّ الغلبة وانتهى الأمر. ١٩٩٧/١/٣١

كنت قد دخلت إلى مدرسة «رفاه» التي كانت تشكّل مركز الأعمال والاستعدادات المرتبطة باستقبال الإمام الخميني. فجأة رأيت الإمام يأتي وحيداً من داخل أحد الأزقّة باتجاه المبنى! كان ذلك لافتاً جدّاً وجذّاباً بالنسبة إليّ. ١٩٩٨/٢/٣

كنت بجانب النافذة وتوجّهت نحو الغرفة، دخلت

١- المائدة: ٢٣

القاعة لكي أرى الإمام عن قرب. دخل الإمام. كان هناك عدد من الإخوة داخل القاعة أيضاً؛ ذهب هؤلاء إلى الإمام وتحلّقوا حوله لكي يقبّلوا يده.

مهما حاولت الاقتراب وتقبيل يد الإمام كنت ألاحظ بأنني قد أتسبب بالإزعاج لسماحته ولو بمقدار شخص واحد، ورغم ميلي الشديد لأن أتشرّف بتقبيل يد سماحته، وقفت بجانب الباب وعبر الإمام على بعد مترين مني،[١٩٨٤/١/١٤] بعد ليلتين عندما كان سماحة الإمام الخميني في مدرسة علوي، أرسل في طلبي؛ طلب حضورنا أنا وسائر الإخوة الذين كنا أعضاء في مجلس شورى الثورة الإسلامية. دخلت إلى الغرفة. كانت بدايات الليل. رأيت الإمام جالساً خلف القرآن يتلو آيات منه. متى كان ذلك؟ بعد يومين أو ثلاث من دخول الإمام [إلى إيران]؛ تلك الأيام التي كانت الجموع تحتشد

فيهـا فـي الأطـراف؛ وكان كثيـرون يـراجعون الإمـام ويأتون ويذهبون. ١٩٨٢/١/٢٩

جاء إليّ سيّد من هؤلاء الذين يدّعون النّضال والانحياز للنـاس فـي اليـوم الثانـي لدخـول الإمـام [الخمينـي] إلى مدرسة رفاه، وقد كنّا مشغولين كلّ لحظة بعشرات الأمور، وسـط هذا الازدحـام أخذ هذا الرجل بيدي، وقال: سـيّدنا أريـد أن أزاحمكـم لعشـر دقائـق. كانـت خلاصـة كلامـه كالتالـي: قـل للإمـام أن لا يشـغل نفسـه بالنّـاس إلـى هذا الحـدّ، فهومع النـاس منذ الصباح حتـى الظهيرة، ويلوّح بيـده للناس، ثمّ يسـتريح قليلاً، ويعـود للنّاس بعد الظهر، تأتي النساء، فيلوّح بيده لهنّ أيضاً.

أجبته: ماذا تعني؟

قـال: كلّ رجـال السياسـة هـؤلاء، وهـؤلاء المفكّريـن، أصحـاب الأفكـار النيّـرة والعقـول الناضجـة، فليأتـوا

وليجلسوا مع الإمام؛ وليتشاور الإمام مع هؤلاء لنرى ما ينبغي علينا فعله.

أجبته: لا يعتقد الإمام الخميني كثيراً بهذه العقول المفكّرة التي تتحدّث عنها؛ لا يؤمن الإمام بهؤلاء [١٩٨٠/٣/٥]. لا يعتقد الإمام بهذه الشخصيات السياسيّة. لقد قال الإمام الخميني «لا» لهؤلاء على مدى ١٥ عاماً. الإمام يرفض مبادئهم. الإمام من الناس ويعتمد عليهم وأنجز تكليفه بقوة الشعب، لا يمكن فصله عن الشعب.[١٩٧٨/١٠/٢٢]

انزعج وذهب.[١٩٨/٣/٥]

القوّات الجويّة

ذكرى ١٩ بهمن [١٩٧٩/٢/٨] كانت ذكرى مشرّفة. فقد قام شباب القوات الجويّة - قوّات الشاه والضّباط وأصحاب الرّتب - في ذلك اليوم بعمل عاشورائي [٢٠٠٦/٢/٧]. في ذلك اليوم حمل شباب القوات الجويّة بطاقاتهم في

شارع إيران واتّجهوا صوب بيت الإمام الخميني، وقد كنت شاهداً وأرى ما يحدث. رأيت ما جرى قبل أن يدخلوا ويأتوا بتلك العريضة الموقّعة للإمام الخميني ويقوموا بسائر الأمور التي قاموا بها، وذلك الاستعراض المهيب، كلّ هذه القضايا لم تكن بالأمر السهل. لعلّ استعراض القوات الجويّة التي كانت تابعة للشاه كان سيؤدّي إلى استشهاد مئة شهيد؛ نعم؛ كان ذلك محتملاً بأن يفقد نصف الجمع أو نسبة يُعتنى بها منهم أرواحهم بسبب ما أقدموا عليه؛ لكنّهم لم يسمحوا للرعب بأن يتسلّل إلى قلوبهم وفعلوا ما فعلوه.

كان هذا العمل خطوة رمزيّة وشكليّة أثبتت مشاركة القوات. وكان معناها أنّنا لا نريد الزّي والعتاد والأوسمة والكوردون[1] وهذه المظاهر لذاتها، بل نريد هذه الأمور من

١- مجموعة من الخيوط ذات اللون الأصفر أو الأبيض التي يضعها الضبّاط على أكتافهم ويغطّون بها صدورهم.

أجل الحقيقة والهدف ونحن مستعدّون لبذل أرواحنا من أجل ذاك الهدف. وقد أثبتوا ذلك بشكل عملي. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ استَقاموا﴾[1] لم يتزعزعوا في هذا الطريق. ١٩٩٥/٢/٨

إذا أردنا تلخيص مشاعرنا في ذلك اليوم، أستطيع القول أنّنا شعرنا بالنّصر. أي: أنّ الشعور السائد يومها كان أنّ أعظم سدّ كان يُتصوّر أنّه سيُشكّل حائلاً أمام الثورة الإسلاميّة لم يعد موجوداً. كان التصوّر السائد أنّ الجيش سيُؤخّر انتصار الثورة بسفك الدماء؛ فالعدوّ كان يتصوّر ذلك، ونحن أيضاً كنا نخشى ذلك. والسبب هو أنّه لم يكن يُتوقّع من الذين كانوا مهيمنين على الجيش غير هذا الأمر. عندما رأينا أنّ شباب الجيش الذين يمثّلون هيكليّة الجيش الحقيقيّة قدّموا ذلك الاستعراض بذلك

١- فصلت: ٣٠ - الأحقاف: ١٣

الشكل أمـام الإمام الخمينـي وأعلنـوا بيعتهم لـه وأطلقوا الهتافـات ثـمّ رفعوا رايتهـم عالياً وقدّموها للإمـام كي يوقّع عليها؛ شعرنا أنّ هذا السدّ والحائل لم يعد موجوداً.[١٤/١/١٩٨٤]

صوت الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران

يومـاً ما كنـت أتنقّل بسـرعة بين ثلاثة مقـرّات من أجل إنجاز عمـل مـا؛ وكنـت مسـتعجلاً؛ أوقفني أحـد الإخوة، وقـال: أنتـم منشـغلون هنـا بأعمالكـم؛ بينمـا العناصر الشـيوعيّين توجّهـوا إلـى المصانع لكـي يُجيّشـوا العمّال، وهم يقومون بأعمال تخريبيّة.

سـألته: في أيّ مكان تشعر بأن الوضع حساس أكثر من سائر الأمكنة؟

ذكـر اسـم أحـد المصانـع، وقـال: أنّـه يوجـد بعـض الأشـخاص فـي هـذا المصنع، فقـرّرت أن أذهب بنفسـي لأسـتطلع الأوضـاع. ذهبت إلى المصنـع فرأيت أنّ عمّال

هـذا المصنـع وقد كانـوا ٨٠٠، وقـد أضيف إليهـم ٥٠٠ فتاة وشاب شيوعيّ. ذهبت ورأيت أنّ الأوضاع على هذا النّحو وبدأت بحلّ المشـاكل. انقضى يومي هناك. كان العاشـر من شـباط [١٩٧٩]. في الحادي عشـر من شـباط وعندما كنـت عائـداً مـن ذلـك المصنـع سـمعت الإذاعـة تقـول: «صـوت الثـورة الإسـلاميّة في إيـران». ركنـتُ السـيارة في مكان ما وترجّلت منها وهويت إلى الأرض ساجداً. ١٩٨٥/١/٣١

كان الإمام الخميني يوصي دائماً، عندما كنت أتشرّف فـي البدايـات بلقـاء سـماحته / أي: منـذ فتـرة الدراسـة الحوزويّـة في قم؛ كان سـماحته يقول دائمـاً: عندما يكون العمـل لله وتكـون نيّـة الإنسـان لله فـلا داعي حينهـا للقلق بشأن ما حدث وما لم يحدث.

حدثـت مرّات عديـدة أن قال لنا قائد الثورة الإسـلامية [الإمام الخميني] حول هذه الثورة، عندما تسيرون لأجل

الله لا تفكّروا هل انتصرتم أم لا؛ هذا كلام عجيب جدّاً، وهو كلام في غاية العظمة. جميع النّاس منشغلون بالسير في مسار ما، ويفكّرون بانتصار هذه التحرّكات. ثمّ يقول قائد هذه الثورة فليكن همّكم رضا الله عزّوجل. أنتم منتصرون إذا رضي عنكم الله عزّوجل، انتصرتم أم لم تنتصروا،[١٩٨٢/١/٢٧] لقد قال سماحته مراراً أنّنا لا نعمل من أجل تحقيق «النتيجة»؛ بل إنّنا مأمورون بأداء «التكليف». لو افترضنا أن ما حصل بعد عودة الإمام من باريس حتّى اليوم لم يحصل؛ بل على العكس، قتلوا الناس وأعدموا أصحاب الإمام ونفوا الإمام كما حصل في السابق، لم يكن الإمام ليشعر بالهزيمة حينها أيضاً، وكان يعتقد بأنّه قد انتصر. من يعمل من أجل أداء التكليف لا يكون انتصاره بتحقيقه مبتغاه، بل يشعر بالنّصر عندما ينجح بأداء تكليفه.

«سيري نحو البادية أفضل من مجرّد الجلوس

فإن لم أبلغ مرادي أكون قد بذلت جهدي» [١] ١٩٨٩/٦/٨

١- الشاعر سعدي الشيرازي

كالرّسل؛ قائد ورجل دولة، زاهد وعارف

بعد تأسيس النظام الإسلامي، كانت برأيي الأبعاد الوجوديّة المشهودة لدى الإمام [الخميني] أهمّ بأضعاف وأعظم ممّا كان ملحوظاً في السابق. فخلال هذه الفترة، كانت شخصيّة الإمام [الخميني] البارزة والمميّزة مشهود في بُعدين ووجهين. فخلال فترة الحكم هناك وجه تتجلّى فيه صورة القائد ورجل الدّولة؛ ووجه آخر تتجلّى فيه صورة الزّاهد والعارف. كما أنّ الإنسان يعجز عن العثور على نموذج يدمج بين هذين الوجهين سوى في [شخصيّة]

أنبياء كداوود وسليمان ورسولنا الأكرم محمّد ﷺ. هذه حقائق لمسها الشعب الإيراني طوال هذه الأعوام المتمادية؛ وقد عاينّاها نحن أيضاً عن كثب ورأيناها. هذه هي التربية الإسلاميّة والقرآنية. كان الإمام الخميني يدعو إلى هذا الأمر، وكان يرغب في النظام الإسلامي من أجل تربية مثل هذه النوعيّة من البشر؛ كما أنّه في حدّ ذاته كان تجسيداً لأرقى مظاهر هذا الإنسان. لقد كانت تتجسّد فيه صورة الحاكم ورجل الدّولة والقائد، وقد كان الإمام الجليل رجلاً ذكيّاً، وشهماً، ومدبّراً، ومبتكراً وسخيّاً. وكان فعلاً حكيماً إلهيّاً. ١٩٨٨/٩/١ ١٩٩٩/٦/٤

لم يكن النّهج الذي كان يتّبعه الإمام الخميني والعمل الثقيل الذي نهض به ليُنجز بالعقل والدراية والقوّة الجسديّة والطاقات السياسيّة فحسب؛ لقد كان سماحته يتمتّع أيضاً بنقاء وصفاء باطني وعلاقة مع الله

جعلته يستطيع تحقيق هذه النجاحات. وإن كانت خصائص الإمام [الخميني] البشريّة أرقى بمرتبة من الأشخاص العاديّين؛ لكن لا يظنّن أحد أنّ هذه الثورة انتصرت واستمرّت بالحكمة والقوّة العقليّة وخصائص الإمام العاديّة والبشريّة فقط. ١٩٩١/٩/١٨

بل كانت في الدرجة الأولى تنبع من إخلاصه؛ «مُخلِصينَ لَهُ الدِّينَ»[١] وكان عمله خالصاً لوجهه فقط ولم يكن يعمل لغيره. لذلك لم يكن ليرضخ لو وقف العالم كلّه بوجهه وطالبه بأمر لا يُرضي الله عزّوجل.

في الدرجة الثانية، كان متوكّلاً وصاحب حُسن ظنّ بالله جلّ وعلا. لم يكن ينظر إلى أيّ عمل على أنّه خارج نطاق القدرة الإلهيّة. كانت الأعمال العظيمة، والخطوات العظيمة، وقلع الجبال الراسخة والجبال الراسيات سهلاً

١- الأعراف: ٢٩ - يونس: ٢٢ - العنكبوت: ٦٥ - لقمان: ٣٢ - غافر: ١٤ و٦٥ - البيّنة: ٥

عليـه؛ لأنّـه كان معتقـداً بأنّه متّكل علـى الله وأنّ الله يمدّه بالعـون؛ ولأنّـه كان متّـكلاً علـى الله كان يتطلّـع بحُسـن ظن... لقد أنجز كلّ هذه الأعمال العظيمة بسبب التوكّل على الله عزّوجل وكان يعلم أنّه قادرٌ على إنجازها. ١٩٨٩/٧/١٤

كانـت رصانـة الإمام [الخمينـي] وصبـره وحلمه بحيث أنّـه لـم يكن ينطق بكلمـة ولو تحدّث مئة شـخص في أحد المجالـس بكلمـات لا يقتنـع بهـا مـا لـم يـرَ مصلحـة فـي ذلـك، وكان يلتـزم الصّمت؛ بينمـا إذا ما تمّ طُـرح كلام أمام الأشـخاص العاديّين خلافاً لعقيدتهم كان يعصف إعصارٌ بداخله يدفعه للإجابة بسرعة.

و إذا وجـدت هـذه الرّصانـة، والصّبر، والحلم والسـيطرة على النّفس وسـعة الصّدر في أيّ شـخص فسـوف تصنع منه إنسـاناً عظيماً. في الوقت نفسه، لو أنّ الإمام الخميني لـم يكن يملـك تلـك العناصـر الأساسـيّة، أي: الروحانيّة،

والارتباط بالله ﷻ، والعمل لأجل رضاه، والتقوى وأداء التكليف لما انتصرت الثورة الإسلامية، ولم يكن ليعشقه النّاس إلى هذا الحدّ، ولم يكن ليقدر على إطلاق هذا الإعصار في العالم، كما لم يكن ليستطيع الصمود كالجبل أمام تهديدات وتهويلات العدوّ. ١٨/٩/١٩٩١

سأل الإمام: هل تخشون أمريكا؟

لم يكن أيّ حدث كبير قادراً على هزم الإمام ودفعه للخضوع أمامه. لقد كان الإمام [الخميني] أعظم من كلّ الأحداث الصعبة والمريرة التي وقعت خلال فترة عشر سنوات من قيادته، وقد كانت [تلك الأحداث] كثيرة جدّاً. لم تكن أيّ من هذه الأحداث، تلك الحرب، والهجوم الأمريكي، ومؤامرات الانقلاب، وتلك الاغتيالات العجيبة والغريبة، وذلك الحصار الاقتصادي، وتلك الخطوات الغريبة والعجيبة التي كان يُقدم عليها الأعداء

بمختلف الأساليب، لم تكن أيّ من هذه الأحداث لتجعل هذا الرّجل العظيم يشعر بالهزيمة والخطر. لقد كان أكبر وأقوى من كلّ هذه الأحداث. ١٩٩٩/٦/٤

أنا لا أنسى تلك الفترة عندما سيطر الشّباب على وكر التجسس(١) وكانت الأجواء مضطربة، لعلّه كان قد مرّ أقلّ من شهر، وكنت حينها قد عدت للتوّ من أداء فريضة الحجّ. توجّهنا أنا والشيخ هاشمي وشخص آخر من طهران للقاء الإمام الخميني في قم لكي نخبره بأنّهم قد وقعوا في قبضتنا، ونسأله ماذا نفعل بهم؟ هل نُبقيهم، لا نُبقيهم، نحتفظ بهم؟ خاصّة أنّ الحكومة المؤقّتة في الداخل كانت قد أثارت بلبلة غريبة ١٩٩٩/٤/١٧ وفي العالم أيضاً، كانت أمريكا تُهدّد، وأوروبا تُهدّد، وكانت العديد

١- في ١٣ آبان من العام ١٣٥٨ [٤ نوفمبر ١٩٧٩]، وبعد سيطرة الشباب الجامعيّين التابعين لخطّ الإمام الخميني على السفارة الأمريكيّة في طهران، اشتهرت هذه السفارة بوكر التجسس. وتعود هذه التسمية إلى الوثائق والمستندات التي تمّ اكتشافها بعد السيطرة على السفارة.

من بلدان العالم الثالث تستهزئ بنا أيضاً وتتّخذ المواقف ضدّنا بكلّ وقاحة. لم يكن أحدٌ يساعدنا في هذا العالم.

عندما طرحنا القضيّة مع الإمام، وجّه إلينا سؤالاً، نظر إلينا وقال بلحن غريب: هل تخشون أمريكا؟

سأل هذا السؤال فجأة. حسناً، نحن لم نكن نتوقّع هذا السؤال؛ ثانياً كان واضحاً أنّنا لم نكن نهابها. قلنا: لا.

أجبت بلا، وأجاب ذلك الأخ بلا أيضاً ولستُ أذكر جواب الشّخص الثالث. عندما قلنا نحن الإثنان بأنّنا لا نخشى أمريكا، قال [سماحته]: فلتحتفظوا بهم إذاً.

قلنا سمعاً وطاعة. نهضنا وجئنا وشاهدتم كيف سارت قضية الرّهائن في العالم. ١٩٨٨/٨/١٤

أو عندما اندلعت الحرب المفروضة؛ تخيّلوا!

شعبٌ بكلّ هذا الدّمار الذي خلّفته مرحلة حكم الشاه

الظالمة وكلّ هذه الحاجة إلى العمل والتجديد، يشنّ العدوّ هجومه فجأة، ويعمل على القضاء على ما بقي لهذا الشّعب! فقد عطّلوا سكّة الحديد، ومصافي النفط، وتصدير النفط ومصانع الحديد.

حسناً، من الطّبيعي أنّ أيّ أحد يرضخ أمام خطوة كهذه. ١٩٩٦/٦/٣

في ذلك الوقت كان جميع الخبراء والمحلّلين والنّخب يصرّحون بشكل حاسم أنّ صدّام منتصرٌ في هذه الحرب وستُمنى إيران بالهزيمة؛ سوى قلّة؛ أي: أولئك الذين كانوا يعتقدون بالرّؤية الإسلاميّة والإيمانيّة - رؤية الإمام للأحداث - أولئك كان الأمل موجوداً في قلوبهم؛ بغضّ النظر عن كون حجمه كبيراً أو صغيراً؛ كان في قلوب بعضهم بصيص أمل، وبعضهم لا، كانت قلوبهم مشعّة بهذا الأمل.

لقد نقلت هذه الخاطرة مرّات عديدة؛ كان اليوم الثالث أو الرابع من الحرب، كنّا مجتمعين جميعاً داخل غرفة العمليّات في هيئة الأركان؛ وكنت حاضراً، إضافة إلى مسؤولي البلاد ورئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

في ذلك الحين كان بني صدر رئيساً للجمهورية، وكان المرحوم رجائي رئيساً للوزراء، إضافة إلى عدد من نواب المجلس وغيرهم، كنا جميعاً مجتمعين هناك. كنّا نتناقش ونتشاور. كان العسكريّون موجودون أيضاً. ثمّ جاء أحد القادة العسكريّين إليّ، وقال: الأصدقاء في الغرفة المحاذية يريدون التحدّث معك في أمر خاص.

ذهبت إليهم، كان المرحوم فكوري هناك والمرحوم فلاحي؛ أتذكّر هؤلاء، وكان هناك شخصان أو ثلاثة أشخاص آخرين. جلسنا، وقلت: ما الذي تودّون قوله؟

قالوا: أنظر يا سيّدنا!

جلبوا ورقة، ولا زلت أحتفظ بنفس الورقة إلى الآن؛ احتفظت بها بين الملاحظات وعليها خطّ أولئك الإخوة الأعزّاء. هذه هي طائراتنا؛ على سبيل المثال اف – ٥، اف – ٤، لست أعلم ماذا أيضاً، سي – ١٣٠، وماذا، وماذا، أنواع طائرات النّقل والطائرات العسكرية؛ كانوا قد كتبوا سبعة أو ثمانية أنواع. ثمّ كتبوا أنّنا نملك من الطائرة الفلاني عشر طائرات على سبيل المثال مستعدّة للخدمة وتستطيع أن تكون قيد الخدمة في اليوم الفلاني على سبيل المثال. هذه تحتاج إلى قطعات صيانة بشكل فوري. في الطائرات قطع يجب أن يتمّ تغييرها بعد كلّ إقلاع أو بعد كلّ إقلاعين. كانوا يقولون بأنّه ليست لدينا هذه القطع.

لذلك فإنّ الطائرة الفلانية على سبيل المثال ستخرج عن نطاق الخدمة خلال الأيام الخمس أو العشر القادمة على سبيل المثال؛ وبعدها ستكون كأنّنا لا نملكها.

وسوف تنتهي فترة خدمة هذا النوع من الطائرات خلال الأيام الإثنا عشر القادمة. وبعد ١٤ أو ١٥ يوماً تنتهي فترة خدمة هذا النّوع. غالبيّة الطائرات كانت من نوع سي - ١٣٠. قالوا أنّ هذه السي - ١٣٠، الموجودة اليوم أيضاً، لديها إمكانية أن تقلع وتحلّق إلى ٣١ يوماً. أي أنّ الجمهورية الإسلامية لم تكن لتملك أي أداة تحليق عسكريّة بعد ٣١ يوم بشكل مطلق، إن كانت طائرة عسكرية حربيّة أو طائرة دعم ونقل؛ انتهى الأمر! قالوا: يا سيّدنا! هذه هي ظروفنا في الحرب. فلتذهب وتخبر الإمام.

لا أُخفي عليكم أنّني أصبت بالخيبة. قلت يا للعجب! هل يُعقل أن لا تكون هناك طائرات، ما الذي علينا فعله؟! هو]أي العدو[يأتي دائماً على متن الطائرات الروسيّة. ولم يكن طيّاروهم يمكلون جدارة طيّارينا؛ لكنّ حجم العمل كان كبيراً. كانوا يأتون الواحد تلو الآخر، وكانت لديهم أنواع

من طائرات ميغ[1].

قلت حسناً. أخذت الورقة وذهبت بها إلى الإمام الخميني في جماران. قلت لسماحته: سيدنا، هؤلاء السادة هم قادتنا وكلّ ما لدينا من معدّات عسكريّة بأيدي هؤلاء. هؤلاء يصرّحون بهذا الأمر؛ يقولون بأنّ طائراتنا العسكرية سوف تستمرّ إلى ١٥ أو ١٦ يوم كحد أقصى ولن تخدم آخر طائراتنا أي طائرة سي - ١٣٠ والتي هي طائرة نقل سوى حتى ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين يوماً آخراً؛ ثمّ لن تكون لدينا أيّ طائرة.

نظر إليّ الإمام [الخميني] - وأنقل مضمون ما قاله سماحته، وقد أكون دوّنت دقيق عبارات سماحته في مكان ما - وقال: ما هذا الكلام ؟! فلتقل لهم بأن يذهبوا ويحاربوا، والله يمدّهم بالعون ويُصلح أمورهم ولن يحدث

١- اسم نوع من الطائرات المقاتلة الروسيّة

أيّ مكروه.

لم يكن كلام الإمام مقنعاً بالنسبة إليّ من الناحية المنطقيّة؛ لأنّ الإمام لم يكن متخصّصاً في مجال الطائرات؛ لكنّني كنت أعتقد بحقانية الإمام والنور الذي يغمر قلبه ودعم الله لسماحته، وكنت أعلم أنّ الله عزّ وجلّ اختار هذا الرّجل من أجل عمل عظيم ولن يدعه لوحده. كنت أعتقد بهذا الأمر. لذلك استعدت قوّة قلبي، وذهبت إلى هؤلاء في نفس اليوم أو غداته لكي أخبرهم بأنّ الإمام قال: بأنّ عليكم إجراء عمليّات الصيانة قدر ما تستطيعون ولتبادروا إلى ذلك.

نفس طائرات اف - ٥ واف - ٤ واف - ١٤ التي كان من المقرّر أن تتوقّف عن العمل بشكل كامل بعد خمس أو ستة أيام، لا تزال تخدم اليوم في قوّاتنا الجويّة. [٢٠٠٩/٧/٢٧]

إذن الجبهة

كانت قد مرّت سبعة أو ثمانية أيام على الحرب، وكانت كلّ الأخبار التي تأتي مُحبطة ولم يكن بيدي حيلة. كانت فترة [رئاسة جمهوريّة] بني صدر. طبعاً كنتُ في ذلك اليوم ممثّل الإمام الخميني في المجلس الأعلى للدفاع والناطق باسم المجلس الأعلى للدفاع أيضاً؛ لكن لم يكن بيدنا حيلة ... ذهبت إلى الإمام الخميني حاملاً كلّ هذه الهواجس؛ لأنّني كنتُ أحتمل بشكل قويّ أن يقول لا. كنت أودّ كسب الإذن لكي أذهب.

قلت: بأنني سأذهب إلى الجبهة. طبعاً لم أكن محيطاً بفنون الحرب. فلم أشارك في خدمة العلم. ولعلّي في ذلك اليوم لم أكن قادراً على إطلاق رصاصة عاديّة بشكل صحيح أيضاً. قلت: بأني سأذهب إلى الإمام الخميني وأطلب منه أن يُرسلني إلى هناك؛ لعلّي بوجودي

وبأنفاسي وخطاباتي أستطيع أن آخذ بعضهم إلى هناك وأقوم بشيء ما.

لم أكن أدري ما علينا فعله. فقد كان الإمام الخميني يقول لنا دائماً: بأن حافظوا على أنفسكم ولتتّخذوا إجراءات الحيطة والحذر، كنت أحتمل احتمالاً قويّاً أن أذهب ويجيب الإمام [الخميني] بلا. ١٩٨٨/١٢/١

أنتم تعلمون بأنّه لم يكن هناك حدّ لخضوعي أمام الإمام [الخميني]؛ أي أنّني كنت أعتبر حقّاً أنّ الإمام يُمثّل كلّ شيء بالنسبة لي. وكنت فعلاً أخجل في بعض الأحيان من أن أقول لسماحته أنّني تلميذك. بحيث لم أكن أرى نفسي في مستوى أن أكون تلميذ الإمام أيضاً؛ كنت خاضعاً أمامه إلى هذا الحدّ. وأينما كانت لدى سماحته رؤية مغايرة لرؤيتي كنت أرضخ لأمر سماحته إن وجّه لي الأمر. ١٩٩٧/٤/٨

قصدت سماحته. وكنت قد قلت مسبقاً للسيد الحاج أحمد [الخميني] بأنّني أنوي التقدّم بمثل هذا الطلب من الإمام، أرجوك أن تتحدّث إلى الإمام قبل قدومي وتمهّد الأرضيّة بحيث لا يرفض الإمام. ذهبنا إلى هناك، كان عدد من القادة العسكريّين حاضرين هناك، كنا مع بعضنا، وكان المرحوم شمران حاضراً أيضاً. بعد أن انتهى الجميع من حديثهم وهمّوا بالخروج، قلت للإمام: أرجوك أن تسمح لي بالذهاب إلى الأهواز أو دزفول، لعلّنا نستطيع فعل شيء.

أجابني على الفور: نعم فلتذهب أنت أيضاً. شعرتُ بالسعادة لدرجة كدتُ أحلّق. كان المرحوم شمران جالساً هناك، قال: سيّدنا، فلتسمح لي أنا أيضاً بالذهاب.

أجابه الإمام: فلتذهب أنت أيضاً.

خرجنا، ولم أؤخّر الموضوع، قلت: دكتور [شمران]!

فلننطلق الآن.

قال: فلتصبر حتّى العصر، لديّ عدد من المعارف والأصدقاء.

ذهبت إلى المنزل، قلت لفريق حمايتي: في أمان الله!

كان لديّ خمس أو ستّ مرافقين كان الحرس الثوري قد وضعهم. قلت لهم: لا حاجة هناك للحماية، أنا ذاهب إلى ساحة المعركة؛ كانت الحماية ضروريّة في طهران، ولكنّ ساحة الحرب لا تحتاج مثل هذه الأمور!

ودّعتهم وانقلبت أحوالهم، بكى بعضهم وانزعجوا، ثمّ قالوا لي: حسناً، سوف نرافقك لكن ليس تحت عنوان فريق الحماية، نحن نرغب في الالتحاق بالجبهة.

أجبتهم: تعالوا.

انطلقنا عصر ذلك اليوم مع المرحوم شمران ووصلنا

في بدايات الليل إلى الأهواز. دخلتُ في صُلب الأحداث على الفور، أي: لم أؤخّر ذلك ليلة واحدة، في الليلة الأولى وفور وصولنا تشكّلت جماعة صغيرة تحمل الآربي جي والأسلحة مهمّتها أن تغزو صفوف الأعداء وتُنفّذ ضدّه هجوماً ليليّاً وتقوم بعمل ما. وأنا لم أكن أدري ما الذي عليّ فعله. أصبح شمران قائد هذه المجموعة؛ لأنّه كان قد مارس العمل العسكري سابقاً ومحيطاً بهذه الأمور. قلت للمرحوم شمران: هل آتي معكم أنا أيضاً؟

أجابني: ما الضير في ذلك؟

طلبت منهم أن يجلبوا لي ثياباً، فجاؤوني بثياب خدمة العلم العسكرية. كانت المرّة الأولى التي أرتدي فيها بزّة عسكريّة. [١٩٨٨/١٢/١]

كنت كلّ أسبوع عندما آتي من أجل صلاة الجمعة في طهران أزور الإمام الخميني. قبل الظهر، بعد الظهر،

في أيّ ساعة أصل فيها كنت أذهب مباشرة إلى جماران وأقدّم للإمام تقريراً حول الأحداث التي جرت. خاصّة في البدايات حيث كانت تغطّي الجبهات هالة من الإبهام ولم يكونوا يسمحون بوصول الأخبار إلى الإمام بشكل صحيح، وكنت أرى واجبي أن أذهب إلى الإمام ثمّ أتفرّغ لسائر أعمالي، كنت أتّجه لإنجاز أعمالي فور خروجي من عند الإمام. يوماً ما عندما كنت في خدمة سماحته، ولأنّي كنت أرتدي لباس الخدمة العسكرية، كنت عندما أركب الطائرة لأعود إلى هنا أو أستقلّ السيارة أو القطار، أيّاً كان، كنت أرتدي الجبّة وأعتمر العمامة ويبقى هذا اللباس [الثياب العسكريّة] تحت الجبّة؛ أي لم تكن لديّ ثياباً أرتديها، وكنت أذهب بهذه الهيئة إلى الإمام.

[١٩٨٦/٤/٢٦] كنت واقفاً خلف الباب، ومنشغلاً بفكّ أربطة جزمتي. كان الإمام [الخميني] جالساً على كنبته وينظر

إلـيّ من هناك. عندمـا دخلت، تطلّع سـماحته إليّ بوجه مُشـفق - وقـد كنت آنس بذلك الوجه - وقـال لي: يوماً ما كانـوا يقولـون لمن يرتـدي ثيابك هـذه بأنّه عمـل مخالف للمروءة.

أي: أنّ سـماحته كان مسـروراً؛ لأنّ طالـب الحـوزة بات يرتدي الثياب العسـكريّة دون أن يُنظـر إلى ذلك على أنّه أمرٌ يُعارض المروءة. ١٩٩٣/٥/٨

شعرتُ بأنّ سماحته مسرور. في البداية كنت أشعر بنوع من الشّك في قلبي. المرّة الأولى التي خلعتُ فيها جبّتي وارتديـت الثيـاب العسـكرية كنـت أفكّـر هل هـذا العمل جيّد أم لا؟ ثمّ عندما رأيت أنّ سـماحته ابتسـم وشـملني بعنايته أدركت أنه مسرور. ١٩٩١/١٢/٢

اذهبوا وابحثوا حتّى تعثروا عليها

يومـاً مـا ذهبـت إلـى الإمـام [الخميني] حيـث قال لي

سماحته: كم بندقيّة لدينا؟ كم بندقيّة فرديّة لدينا؟ فلتبحثوا في هذا الأمر ثمّ أعلموني بالنتيجة.

جمعت الإخوة القادة جميعاً على الفور، وقلت لهم: إن الإمام طلب أن تحددوا عدد البنادق المتوفّرة لدينا.

فأجاب هؤلاء: سمعاً وطاعة!

فتمّ إبلاغ الجميع بشكل فوري، القوات البريّة، القوات الجويّة، قوات الشرطة، ثمّ أبلغوني بعدد ستضحكون مستغربين إن قلته لكم، أن كان لدينا هذا العدد من البنادق فقط؟! وأنا حدّثت نفسي بهذا الأمر أيضاً؛ لأنّه حسب تصوّري كان هناك عدد كبير. كنا لا نزال في أيام الحرب الأولى ولم تكن لدينا بعد تجربة بخصوص السلاح والعتاد والجنود والحرب ومثل هذه الأمور.

ذهبت للإمام الخميني وقلت له: سيّدنا، هذا فهرس البنادق؛ لدينا هذا القدر بيد القوات البريّة، وهذا القدر

بيد القوات الجويّة، وهذا القدر في المكان الفلاني.

قرأت الإحصائيات للإمام. تأمّل الإمام [الخميني] وألقى نظرة وقال بلهجة الواثق جدّاً: لدينا أكثر بكثير من هذا العدد، لدينا أكثر بكثير.

استغربت كيف أن الإمام يقول بهذه الثقة أن لدينا أكثر بكثير من هذا العدد، ثمّ غيّر الإمام موضوع الحديث وقال: فلتعلم هذا الأمر! الأسلحة والعتاد المدّخر في هذا البلد تمّ تجهيزه سابقاً من أجل مواجهة قوّة مثل روسيا؛ لدينا أسلحة وعتاد أكثر من هذا العدد بكثير؛ إذهبوا واعثروا عليها.

ذهبنا وبحثنا بأنفسنا واكتشفنا أماكنها؛ أي بحثنا داخل البلد، ذهبنا وتفقّدنا مختلف الأماكن فعثرنا على أشياء لم يكن لدى القادة علم بوجودها. ١٩٨٣/٩/٧

يشهد الله أنه لو لم يكن في الحرب شخص صلب

يملك ثبات الإمام [الخميني]، لكانت هذه البلاد خسرت محافظتين على الأقل. لم تكن هذه المرّة شبيهة بالسابق، بل كانت الأمور في منتهى الجدّ. كان هذا أمراً في منتهى الخطورة. حسناً يكتبون بأن الإمام قال بعد تحرير خرّمشهر:أوقفوا الحرب! هذه أكاذيب واتهامات باطلة! لقد كنا حاضرين هناك ونرى كلّ ما يحدث ... متى قال الإمام بأن أوقفوا الحرب؟! فالإمام الخميني في نفس تلك الفترة التي أنهى فيها الحرب عام ١٩٨٨، كان ذلك بعد ذهاب المسؤولين إليه ومناقشته والتحدّث إليه وِصرارهم عليه. في ذلك الحين أيضاً لم يكن الإمام مستعدّاً لإنهاء الحرب. ١٩٩٦/٨/٦

مواجهة الجبابرة الدوليّين

موافقة الإمام [الخميني] على قرار وقف إطلاق النار جاءت بعد لائحة المشاكل التي وضعها المسؤولون عن

الشؤون الاقتصاديّة حينها أمام الإمام، وقالوا: بأنّ البلد لم يعد يتحمّل ولا يستطيع أن يواصل حرباً بكلّ هذه التكاليف. أُجبر الإمام على الموافقة على القرار. لم تكن الموافقة على القرار بسبب الخوف؛ أو بسبب هجمات العدوّ؛ ولم يكن بسبب تهديد أمريكا؛ لم يكن بسبب احتمال أن تتدخّل أمريكا في هذه الحرب. لأنّ أمريكا كانت تتدخّل قبل تلك الفترة في شؤون الحرب. ولوأنّ العالم كلّه تدخّل في هذه الحرب، لم يكن الإمام رضوان الله تعالى عليه شخصاً يتراجع، لم يكن ليتراجع!

كان ذلك شأناً داخليّاً وكانت تلك قضيّة أخرى. طوال فترة الحياة المباركة للإمام [الخميني] رضوان الله تعالى عليه التي استمرّت عشرة أعوام بعد انتصار الثورة الإسلامية، لم يحصل ولو للحظة واحدة أن يتردد الإمام الخميني في أيّ جانب من الجوانب بسبب ثقل تهديد

العدوّ.

أدرك جميع أعداء الثورة الإسلامية وجرّبوا طوال فترة العشرة أعوام هذه أنّه يستحيل إخافة الإمام. هذه نعمة عظيمة جدّاً أن يشعر العدوّ بأنّ شخصيّة كشخصيّة الإمام الخميني لا تنسحب من الميدان بالتهويل والتهديد. لقد قام الإمام الخميني بسلوكه وبشخصيّته اللامعة بما جعل العالم كلّه يُدرك هذه النقطة أن لا يُمكن إخراج هذا الرّجل من الميدان، ولا يُمكن تهديده وليس ممكناً ثنيه عن مواصلة مساره عبر الضغط والتهديدات العمليّة.

١٩٩٦/٦/٣

كان الإمام [الخميني] يقف بمنتهى الصراحة في الجبهة المعارضة للجبابرة الدوليين والمستكبرين. لم يكن يجامل أحد. وهذا ما جعل الإمام في جبهة المظلومين في المواجهة مع الجبابرة والمستكبرين والقوى

المتغطرسة حول العالم؛ وكان يُعلن عن ذلك بصراحة ودون أي تقية أو مجاملة. كان منحازاً للمظلومين حول العالم بشدّة. لم يكن الإمام الخميني ممن يتصالح مع المستكبرين، ولقد كان تعبير «الشيطان الأكبر» في وصف أمريكا إبداعاً كبيراً قام به الإمام الخميني. والامتدادات المعرفية والعملية لتعبير «الشيطان الأكبر» كثيرة وكبيرة جداً. عندما تعتبرون شخصاً أو جهازاً معيناً شيطاناً فمن الواضح كيف يجب أن يكون سلوككم تجاهه، وكيف يجب أن تكون مشاعركم تجاهه، وقد كانت مشاعر الإمام الخميني تجاه أمريكا على هذا النحو إلى اليوم الأخير، وكان يستخدم تعبير الشيطان الأكبر ويؤمن بهذا التعبير من الأعماق.

وفي المقابل دعم الإمام الخميني الجليل فلسطين على مدى هذه الأعوام الطويلة ودافع عنها. دافع عن

فلسطين وعن أفغانستان. يوم دخل الإتحاد السّوفياتيّ إلى أفغانستان، ومع أننا كنا نكابد جرّاء معاداة أمريكا لنا - والحكومات في مثل هذه الظروف عندما تكون سيئة العلاقة مع طرف تتصالح وتنسجم مع الطرف المقابل - لكن الإمام الخميني الجليل اتخذ موقفاً حاسماً ضد الإتّحاد السّوفياتي، وهو موقف لم تتخذه حتى بعض الحكومات ذات الميول الغربية، لكن الإمام الخميني الجليل دعم شعب أفغانستان دون لحاظ أيّ اعتبارات أخرى، ودعم الشعب اللبناني ودعم الفلسطينيين بكل ودّ ومحبّة. هذا هو منطق الإمام الخميني في مسألة مواجهة الاستكبار. ٢٠١٥/٦/٤

تجسيد للطف والعاطفة

ذلك الرجل الذي كان وجهه الصّلب يُرعب أعداء الشعب الإيراني ويهزّهم، ذلك السّد المنيع والجبل

الرّاسخ، كان في القضايا العاطفية والإنسانيّة، ١٩٩٩/٦/٤ رحيماً وعطوفاً وصاحب قلب مغمور بالمحبّة والإنسانيّة.

١٩٩٦/٦/٣

كانت تلك الرّوح العظيمة وذلك الجبل الرّاسخ يهتزّ ويرتعد أمام بعض الأعمال التي قد تبدو عاديّة للناس. أثناء الحرب، كان تلامذة المدارس قد كسروا حصّالاتهم في صلاة الجمعة في طهران وأهدوا ما فيها من أموال من أجل دعم الجبهات. ١٩٨٩/٦/٢٩ جاؤوا وكسروا حصّالاتهم أمامنا وسكبوا أموالهم أمامنا، كان عدد الحصّالات كبيراً؛ وقد عرض التلفاز هذه الصور. ٢٠٠١/٣/١٨ تكوّن جبلٌ من الأموال، وقد تأثر الإمام الخميني في المشفى عند مشاهدته لهذه المشاهد على التلفاز، وقال لي حين تشرّفت بزيارته: هل رأيت ما الذي فعله هؤلاء الأطفال؟!

في تلك اللحظة رأيت أنّ سماحته يبكي وأنّ عيناه

اغرورقتا بالدموع.

مـرّة أخـرى رأيـت بـكاء الإمـام عندمـا سـردت لـه كلام والدة أحد الشهداء؛ كان لديّ خطاب في إحدى المدن. بعـد انتهاء الخطاب، ما إن هممتُ بركوب السـيارة حتى رأيت خلفي سيدة تقف خلف الإخوة في الحرس الثوري تتوجّـه إلـيّ بالكلام.طلبت منهم أن يفسـحوا لهـا الطريق لأسمع ما ترغب في قوله. تقدّمت إليّ، وقالت: قولوا للإمام الخمينـي نيابـة عنّي إن ابني قد أُسـر بيد العـدوّ ووصلني مؤخّـراً نبأ استشـهاده؛ قولوا للإمام: فداءً لـك، فلتبقَ حيّاً؛ وأنـا مسـتعدّة لتقديم سـائرأبنائي ليستشـهدوا في النهج الذي تسيرعليه.

عدتُ إلى طهران وتشرّفت بزيارة الإمام، لكن نسيت أن أنقـل لسـماحته هذه الرسـالة. ثمّ بعـد أن خرجت تذكّرت توصية والدة الشـهيد تلك، فعدت وتشرّفت مجدّداً بلقاء

الإمـام ونقلت لسـماحته ما قالتـه تلك السـيّدة. رأيت أن وجـه الإمام تقطّب علـى الفور وذرف الإمـام الخميني من الدموع قـدراً جعل قلبـي يعتصر بشـدّة. ١٩٨٩/٦/٨ رأيت أن جبل الثبات والوقار والشـموخ هذا انكفأ إلى نفسه. تأثّرت روح سـماحته وجسـده بكلام والدة الشـهيد هـذا وأصبح شبيهاً بذاك الذي انكسر قلبه. ١٩٩٩/٦/٤

كان الإمـام الخمينـي حازمـاً، ولـم يكـن ليتزعـزع، كان إنسـاناً يثبـت علـى قـراره؛ إلا أنـه كان تجسـيداً للعاطفـة. وتجسيداً للطف، وتجسيداً للمحبّة، وتجسيداً للتعاطف والانغمـاس فـي حـبّ الله عزّ وجلّ ومحبّـة خلـق الله، خاصّـة الفئات المظلومة والمستضعفة في المجتمع. ٢٠١٥/٦/٤

إمام الأمّة

كان الإمـام يثـق بالنّـاس. عندمـا انتصرت الثـورة، كان الإمـام الخمينـي قـادراً علـى أن يعلـن أن نظامنا هـو نظام

جمهورية إسلاميّة؛ دون أن يطلب من النّاس إبداء رأيهم، ولم يكن ليعترض أحد؛ لكنّه لم يقم بهذا الأمر. وأطلق سماحته استفتاء حول أساس ونوعيّة النّظام وطلب من النّاس الإعراب عن رأيهم؛ فأعلن النّاس تأييدهم لنظام «الجمهورية الإسلامية» وثُبّت هذا النظام.

وفيما يخصّ تحديد الدستور، كان الإمام قادراً على أن يطرح دستوراً ما؛ وكانت غالبيّة الناس وبأكثريّة قاطعة ستقبل دون شكّ. كان قادراً على تعيين بعض الأشخاص وأن يقول فليذهب هؤلاء ويدوّنوا الدستور؛ ولم يكن ليعترض أحد؛ لكنّ الإمام لم يفعل هذا الأمر. أسّس الإمام الخميني لانتخابات مجلس خبراء القيادة وكان مستعجلاً أيضاً على أن يتمّ هذا الأمر في أسرع وقت ممكن. ففي الثورات حول العالم، والتي أغلبها انقلابات وليست ثورات، من يستلمون زمام الأمور ويكونون على

رأسها يُحددون فرصة سنة أو سنتين لأنفسهم، ويقولون بأنّه يجب أن تمرّ هذه الفترة لكي نستعدّ لإجراء عمليّة انتخابات؛ لكنّهم غالباً ما يمدّدون هذه الفترة أيضاً. [لكن] فيما يخصّ الإمام الخميني؛ لم يمرّ شهرين على انتصار الثورة حتّى أقام سماحته استفتاءً شعبيّاً على نظام الجمهورية الإسلامية. وبعد شهر أو اثنين، أجريت انتخابات مجلس خبراء القيادة. وبعد عدّة أشهر أقيمت انتخابات رئاسة الجمهوريّة. وبعد بضعة أشهر أقيمت انتخابات مجلس الشورى الإسلامي. أي: أنه في عام واحد، أي في العام ١٩٨٠، استفسر الإمام الخميني ٤ مرات عن آراء الناس بخصوص مختلف القضايا؛ عن أساس النظام، ودستور النظام - حيث أنه تمّ انتخاب خبراء تدوين القانون في المرة الأولى ومن ثم التصويت على الدستور نفسه -، وعن رئاسة الجمهورية وفيما

يخصّ تشكيل مجلس الشورى الإسلامي. ١٩٩٩/٦/٤

تمّ تثبيت هذا الواقع بأنّ الشخصيات التي تجمع بين الإيمان والتضحية والفكر السامي والإرادة الحديديّة ولا تُسخّر هذه الأمور من أجل خدمة مصالحها الشخصية؛ بل في سبيل المبادئ الإلهيّة ورفعة الناس، تستطيع أن تُحرّك محيطاً بأكمله كما تفعل الأعاصير. ولا يستطيع أي نسيم أن يهزّ المحيط. قد يتمكّن مجرى طبيعي للهواء من جعل مياه إحدى المسابح تتلاطم؛ لكنّ إثارة أمواج المحيط وجعلها تتلاطم تحتاج إعصاراً مدوّياً. كانت كل هذه العناصر متوفّرة في الإمام الخميني لجعل أمواج الشعب والأمة تتلاطم.

لقد اعتمد الإمام على تكتّل الناس هذا. في يوم من الأيام تشرفنا بلقاء الإمام الخميني بعد أن ألقى سماحته خطابه. كنا في الحقيقة قلقين من تحدّث الإمام لفترة

طويلة وبحماس واندفاع كبيرين. فقد كان سماحته قد تعافى للتوّ من مرض قلبي، وهذا ما كان يُقلق المرء، وهو أمر طبيعي؛ كلّ من يلتفت إلى هذه الأمور يقلق. قلنا لسماحته: إن من الجيّد أن تقلّلوا قليلاً من هذه الكلمات والخطابات. وإن كان ولا بدّ من أن تلقوا خطاباً، فلتجتنبوا التحدّث لفترة طويلة على الأقل، ربع ساعة على سبيل المثال؛ لا أن تتحدّثوا ثلاثة أرباع الساعة وساعة كما نُلاحظ مؤخّراً. أجاب سماحته: بأنني أتحدّث بهدوء. ثمّ يقول: بأنني لا أستطيع عدم الذهاب وإلقاء الخطاب عندما يحضر عدد من عامّة الناس إلى هنا. هذا هو الإيمان بالكتل الشعبيّة، واعلموا أنه لو لم يكن هذا الإيمان بالكتل الشعبيّة موجوداً لما انتصرت الثورة الإسلامية بهذه السرعة. وبسبب أنّ هذه البلاد شهدت ثورات عديدة، فقد كانت نسبة الكفاح والنّضال

مرتفعة. وخلال كلّ هذه النّهضات، انتصرمن كان يعتمد على الناس. ومن كان يعتمد على فئة معيّنة، قُمع، وإنّ ثورتنا كانت ثورة غير مستقرّة ومتزعزعة قبل أن تسري بين الكتل الشعبيّة، ولم يكن واضحاً ما إذا كانت ستنتصر... استمرار هذه الثورة سيكون مرهوناً بأن تكون راسخة في قلوب الكتل الشعبيّة. ١٩٨٠/٧/٣

زاهدٌ وعارف

لقد كان الإمام الخميني في الوجه الخاص بحياته الشخصيّة والخاصّة إنساناً زاهداً وعارفاً ومنقطعاً عن الدنيا. طبعاً المقصود هو الدنيا السيّئة؛ وقد كان سماحته يُعبّر عن الدنيا السيّئة بأنّها الشيء الذي بداخلكم. مظاهر الطبيعة هذه، الأرض والأشجار والسماء والاختراعات وأمثال هذه الأمور ليست ضمن الدنيا السيئة؛ هذه نعم الله، وينبغي تطوير هذه الأمور. الدنيا السيّئة هي تلك

الأنانيّة وذلك الطمع والشعور بالتعلّق داخل الإنسان. لقد كان الإمام الخميني منقطعاً عن هذه الدنيا بشكل كامل.

١٩٩٩/٦/٤

قد يكون الإنسان جالساً بين الجدران الأربعة في منزله، ولا شأن له بهذه الدنيا، ولا شأن له بالناس، ولا يتعرّض للامتحان؛ لكنّه تقيّ. و[في حالة أخرى] قد يكون مثل الإمام الخميني بتلك العظمة وفي قمّة الشهرة العالميّة وكلّ هذه الثورة نتيجة لإرادته وحزمه ويتمتّع بكلّ هذه المحبّة من الناس، وهم مستعدّون لموافقة الإمام على كلّ أعماله؛ لكنّه ينتهج مسار الزّهد والتقوى بهذا الشّكل.

٢٠٠٥/٥/٣١

لقد لاحظت في حياة إمامنا الخميني الجليل رضوان الله تعالى عليه أنّه عندما كان يُلقى عليه بحملٍ عظيم دون سابق إنذار، كان يُقوّي نفسه بالارتباط والتواصل المعنوي والقلبي.

كان سماحته لا يلتقي بأحد عادة في شهر رمضان. ١٩٩٢/٣/٢

يشهد الله أنّني بعد كلّ شهر رمضان، كنت ألمس عند زيارتي للإمام الخميني أنّ الإمام ارتقى أكثر من السابق في شهر رمضان هذا، وحلّق وابتعد عن المادّة أكثر من السابق. ١٩٩١/٢/١٨ كنت أرى بوضوح أنّ سماحته بات أكثر نورانيّة؛ وبسبب هذه النورانيّة بقي سماحته صلباً وثابتاً كالجبل حتّى آخر لحظات عمره. سنّ العجز هو عادة مرحلة الضعف والانحطاط الجسدي والرّوحي لدى الإنسان؛ لكنّ الشابّ قويٌّ من الناحية الروحيّة والجسديّة؛ إلّا أنّه ينبغي أن يربط هذين الأمرين بالله ﷻ كي لا يتغلغل شيء في داخله. ١٩٩٢/٣/٢

كان من أصحاب الخلوات والعبادة والبكاء في منتصف الليل؛ وكان من أصحاب التضرّع والدعاء والارتباط بالله ﷻ ومن أهل العرفان والشّعر والروحانيّة

والأمور المعنويّة والمشاعر الجيّاشة. ١٩٩٩/٦/٤

سألت الإمام الخميني ذات مرّة: أيّ من الأدعية المعروفة يجعلك تشعر بأنس أكبر أو أنّ سماحتك تعتقد به أكثر من سائر الأدعية؟

فقال بعد تأمّل: دعاء كميل والمناجاة الشعبانيّة.

عندما ترجعون إلى هذين الدعائين رغم أنّ سائر الأدعية مثل «أبي حمزة الثمالي» أو «دعاء الإمام الحسين في يوم عرفة» وسائر الأدعية الكثيرة الأخرى، هي نوع من الارتباط بالله عزّوجل؛ إلا أنّكم تلمسون في هذا الدعاء وهذه المناجاة حالة الاستغفار والإنابة والاستغاثة والتضرّع لله عزّوجل بأسلوب عاشق. دعاء كميل هو أيضاً مناجاة مع الله جلّ وعلا ويجسّد علاقة المحبّة والعشق بين العبد والمعبود، وهو الأمر الذي كان يجعل قلب إمامنا الجليل منيراً. ١٩٩٠/٣/١

كانت المعارف القرآنيّة حيّة في قلب الإمام الخميني. كان الإمام يتلو القرآن كثيراً. وكان الأنس بالقرآن من بين الأعمال التي يقوم بها سماحة الإمام. عندما كنا نزوره، كان القرآن بيده في العديد من الأحيان وكان منشغلاً بالقراءة. ٢٠٠٣/٥/٢٤

فليرحم الله السيّد الحاج أحمد [الخميني] حيث كان يقول: خلال الأيام الأخيرة، لم تكن المناديل الورقية تكفي لمسح دموع الإمام [الخميني]!

كان السيّد أحمد [الخميني] يقول لي هذا بشكل خاص. كان يقول: كنا نجلب لسماحته منشفة لكي يجفّف بها دموع عينيه.

انسكاب دموع العجوز الذي يبلغ من العمر تسعين عاماً أصعب من انسكاب دموع شابّ يبلغ من العمر خمساً وعشرين أو ثلاثين سنة. كما أنّ أعمال ذلك

العجوز كانت عجيبة وشبيهة بأعمال الشباب، فقد كان ذرفه للدموع كذرف الشباب للدموع أيضاً. ١٩٩٥/١١/٨

كلّ هذه الأمور، اكتسبها الإمام الخميني من العمل والتقيّد بالدين، والتقوى وإطاعة أوامر الله ﷻ. وكان سماحته أيضاً يصرّح بهذا المضمون في كلماته، فيقول: كلّ ما لدينا هو من الله. كان يعتبر كلّ شيء من الله؛ وكان مصهوراً في الإرادة الإلهيّة ومنغمساً في الحكم الإلهي، لقد نصر الله الثورة؛ الله هو من حرّر خرّمشهر؛ الله هو من ألّف بين قلوب الناس. كان ينظر إلى كلّ شيء من المنظار الإلهي، وكان عاملاً بالأحكام الإلهيّة؛ والله ﷻ شرّع بالتالي أمامه أبواب رحمته. ١٩٩٩/٦/٤

نشكر الله أن عاصرنا الإمام الخميني

عندما زرنا الإمام [الخميني] الجليل وكان سماحته قد اجتاز امتحان الحكم الصّعب ضمن أصعب المراحل،

كنّا نرى أنّ سماحته مقارنة مع القدوة الأساس أقرب وأفضل الناس إلى تلك القدوة. لا أرغب في الادّعاء بأنّ إمامنا الخميني كان كأمير المؤمنين عليه السلام؛ لا. لم يكن إمامنا يساوي ذرّة تراب من نعل ذلك العظيم. فآلاف الأشخاص مثل الإمام [الخميني] ليسوا في مستوى يخوّلهم أن تتمّ مقارنتهم مع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقد قال أمير المؤمنين يخاطب أصحابه قائلاً: «إِنَّكُم لا تَقدِرونَ عَلى ذلِك»[1]؛ أي: أنّكم لا تستطيعون أن تتصرّفوا مثلي. لكن رغم امتلاكه الخصائص البشريّة عدم امتلاكه العصمة، كنّا للإنصاف نرى إمامنا الجليل أقرب النّاس إلى ذلك النموذج والقدوة؛ كان قريباً جدّاً ويوحي بالشّبه كثيراً، كان بالإمكان رؤية وجه تلك الشخصيات العظيمة في سلوك وعمل هذا الرّجل [الإمام الخميني]. ١٩٩٩/٤/٥

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، الرسالة ٤٥: رسالة عثمان بن حنيف

عندما تـزورون منـزل الإمـام [الخمينـي]، ذلـك الإمام الـذي يفضّلـه النّـاس علـى أنفسـهم وأبنائهـم ووجودهم، تـرون أن حياته هي نفس حياة الأنـاس العاديّين أو الذين يعيشـون مستوى متدنيّاً مـن الحيـاة؛ سـجادته نفس سـجاداتهم، طعامـه نفس طعامهم، ومشـاكل العيش هي نفس مشـاكلهم، ويعيش نفـس الضائقـة. إذا كان النّاس ينقصهـم النفـط الأبيض كنـت تجد أنّ منـزل الإمام أيضاً ينقصه هذا النفط وهو متوفّر بكميّة قليلة. و إذا كان الموفّر للناس من بعض البضائع والمستلزمات قليلاً، كان الإمام يعيـش نفس تلـك الضائقـة، وكان ذلك النّقص ملموسـاً فـي منزلـه، كان فـي مرتبـة واحدة مـع أهله وشـعبه، طبعاً النمـوذج الأرقى والأبرز هـي حياة أميرالمؤمنين عليه السلام حيث كان يقـول: «أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِـي بِأَنْ يُقَـالَ: أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَـارِكُهُمْ فِـي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْـوَةً لَهُمْ فِي جُشُـوبَةِ

الْعَيْش!»[1] كانت حياة أميرالمؤمنين من حيث المأكل، والملبس والمسكن ضمن أدنى المستويات التي كان الناس يعيشونها. وهذا الأمر خاصّ بأميرالمؤمنين عليه السلام.

١٩٨٣/١٠/٢٨

في لقاء مع الإمام الخميني الجليل رضوان الله تعالى عليه قلت لسماحته: لو أنّنا ظللنا نشكر الله عزّ وجلّ إلى الأبد على إرسالك في زماننا لأنقصنا شكره على ذلك. ٢٠٠١/١١/٥ لو أننا لم نرَ هذا الإمام، ونقلوا لنا قصصاً حوله فيما بعد، لما استطعنا إدراك الأمور بشكل صحيح؛ لكنّنا رأينا الإمام عن قرب. يوماً ما قلت لسماحته: بأنّنا لو سمعنا بهذه الخصائص، أو نقلوها لنا، لما كنا قادرين على أن نتخيّلها بشكل صحيح. كم علينا أن نشكر الله على أنّنا نرى هذا النموذج الحيّ أمامنا. فلنتقرّب منه. ١٩٩٩/٤/٥

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، الرسالة ٤٥: رسالة عثمان بن حنيف

لقد أحيانا الإمام الخميني

لقد كنّا أمواتاً بالفعل وأحيانا الإمام [الخميني]. لقد كنّا تائهين وهدانا هو. لقد كنّا غافلين عن مسؤوليات الإنسان المسلم العظيمة وأيقظنا هو ودلّنا على الطريق وأخذ بأيدينا وشجّعنا وتقدّم الجميع في السّير قُدُماً إلى الأمام.

نشكر الله على أنّنا صدّقنا كلامه بكلّ وجودنا وسرنا خلفه، ولم نتوقّف ولم نتركه في منتصف الطريق. ١٠/٧/١٩٨٩

نشكر الله على أنّه قد أرانا في حياة الإمام [الخميني]، حيث كانت قلوبنا جميعاً مستقرّة بوجوده - أي عندما كان الإمام لم يكن المرء ليخشى أيّ شيء فعلاً - كلّ الألوان والأصناف، لكي لا نتزعزع وننهار بعد الإمام إذا ما واجهنا أيّ من أصناف [التحديات] هذه، فنقول: ما الذي حلّ بنا، أُنظروا أيّ ضخّ إعلامي يُمارس ضدّنا! كلّما

ارتفعت نسبة الضخّ الإعلامي، أراجع ذاكرتي ومذكّراتي في تلك الفترة؛ فأتعجّب! الضخّ الإعلامي الذي مورس حينها كان أضعاف الضخّ الإعلامي الحالي. وكلّما نسمع بانعقاد جلسة أو اجتماع هيئة من قادة الدول ضدّ الجمهورية الإسلامية، أراجع ذاكرتي ومذكّراتي فأرى أنّ ما حدث في زمان الإمام كان أكبر وأسوء ... إذا هوّلوا علينا بالهجوم العسكري أو هدّدوا بأن قد يأتوا فجأة ويقصفوا المكان الفلاني، فسوف نتذكّر بأنّه «وهل قُصفنا قليلاً في زمن الإمام؟!»

هذه كلّها ألطاف الله ﷻ. فمع وجود ذلك السّند العظيم والرّكن الرّكين، كان الإنسان مهما شعر بالضّعف قادراً على أن يلجأ إليه ويقوّي ذاته، لقد أرسل الله ﷻ كلّ هذه الامتحانات إلينا - الواحد تلو الآخر- لكي نعلم أن هذه التصريحات لا تعدو كونها مجرّد تهويلات واستعراض

للقوّة. ١٩٩٢/١١/٢٤

خلال فترة المسؤولية المتواصلة التي كُلّفت بها منذ الأيام الأولى لانتصار الثورة، كنت أتذكّر مرّات عديدة جملة أميرالمؤمنين عليه السلام التي يقول فيها: «اِذَا احمَرَّ البَأسُ اتَّقَينا بِرَسولِ اللهِ»[1] أي عندما كانت تصعب الأمور علينا في الحروب وكنا نشعر أنّنا ضعاف أمام الحدث، كنّا نلجأ إلى رسول الله. وعندما كنت أتذكّر جملة أميرالمؤمنين عليه السلام كنت أرى أنّ الأمر يصدق علينا أيضاً.

كان يحدث مراراً بأن نجلس مع الإخوة المسؤولين ونتبادل آرائنا وأفكارنا في مختلف القضايا ونوكل إبلاغ المشكلة لإحدى المجموعات ونذهب بها إلى الإمام الخميني حيث كان سماحته يحلّها برأيه السديد وإرادته القويّة وإيمانه وتوكّله الفريد من نوعه. يشهد الله أنّني

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، الحكمة ٢٦٦

خلال فترة حياتي لم أرَ ولم أسمع بأحد لديه هذا الحدّ من التوكّل وحسن الظنّ بالله. لقد كان يحلّ المشاكل ويفكّ العقد. ١٩٨٩/٨/٣

الإمام الخميني حاضرٌ اليوم أيضاً

غداة تلك الليلة التي انتقل فيها الإمام [الخميني] العزيز إلى جوار الرّحمة الإلهيّة، تفاءلت بالقرآن الكريم عند السّحر وأنا بحال من الغليان والحيرة؛ فجاءت هذه الآية الشّريفة من سورة الكهف: ﴿وَأَمّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا فَلَهُ جَزاءً الحُسنى وَسَنَقولُ لَهُ مِن أَمرِنا يُسراً﴾[1] فحدّثت نفسي بأنّ المصداق الكامل لهذه الآية هو هذا الرّجل الجليل. الإيمان والعمل الصّالح وجزاء الحُسنى خيرُ مكافأة له.

لقد رحل «عبد الله الصّالح» وفقده الشّعب الإيراني.

١- الكهف: ٨٨

وكان من الطّبيعيّ أن يُسلب الشعب الصّبر ويجزع ويُصبح مضطرباً بذلك الشّكل. ١٩٩٠/٦/٤

انتفاضته، نفيه، عودته، حياته المحفوفة بالبركات ورحيله عن الدنيا، كلّ هذه الأمور كانت لله ﷻ. حياة وممات هذا الرجل العظيم كانت لله. ١٩٨٩/٦/١٠

هو حاضرٌ اليوم أيضاً؛ بكلامه، وبروحه، وباسمه وأنفاسه. وهل يُمكن أن لا يكون الإمام بيننا؟! هو حاضرٌ اليوم أيضاً ويسير بالبلاد قُدماً إلى الأمام. يد الإمام القويّة تساند هذه الثورة. ١٩٩٨/٣/٥

أحد القضايا التي لا شكّ في أنّها ستؤثّر على مسار حياتنا، هو دعاء روح الإمام الخميني الزكيّة. ١٩٩٤/٥/٢٥ لقد لمست أنّ روح الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه الزكيّة ذات حضور أكثر من عادي. حسناً، لا شكّ في أنّ أرواح المؤمنين حاضرة وأنّهم غير منفصلين عن قضايا مجتمعهم

وبيئتهم. رأيي هو أنّ هذا الأمر يصدق على إمامنا الخميني رضوان الله تعالى عليه أكثر وبشكل أقوى. ١٩٩٥/٥/٢٢

نسأل الله أن ندرك قيمة هذه النّعمة ونتعامل معها بالنّحو الذي يليق بالنعم الإلهية العظيمة. نشكر الله أن منّ علينا بالإمام [الخميني] وزرع محبّته في قلوبنا، وجعل صورة الإمام وشخصيّته حلوة ووضّاءة في أعيننا ووجّه قلوبنا في هذا الاتجاه. هذه نعمة عظيمة منّ الله بها علينا؛ نشكر الله عزّ وجلّ. ١٩٩٩/٥/٢٩

نسأل الله أن يرفع درجات الإمام الخميني الجليل يوماً بعد يوم؛ وأن يحشره مع أجداده وأولياءه الطاهرين ومع الأنبياء وأئمة الهدى عليهم السلام وأن يُثبّتنا على هذا النّهج بتلك المعرفة ويوفّقنا كي لا نكون خجلين أمام الإمام، ونتمكّن من القول بأنّنا قمنا بتكليفنا وتابعنا مسيرتك. أسأل الله أن لا نكون قد ضيّعنا جهود سماحته وجهود

هذا الشّعب. ٢٠٠٣/٥/٢٤

﴿وَسَلَامٌ عَلَيهِ يَومَ وُلِدَ وَيَومَ يَموتُ وَيَومَ يُبعَثُ حَيّاً﴾ [١]

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ١٩٨٩/٦/١٠

١- مريم: ١٥

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة

٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن

٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي

سلسلة نهج الولاية:

١. العبد الصالح، الإمام الخامنئي (هذا الكتاب)

٢. التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي

٣. الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي

٤. العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي

سلسلة من داخل السجن:

١. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٢. يسألونك عن عاشوراء، محمد فخراوي

٣. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد

٤. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب

حسين

٥. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور

٦. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور

سلسلة تاريخ البحرين:

١. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود

٢. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم

٣. الإبادة الثقافية في البحرين

٤. تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١. رسول الرحمة

٢. الإسلام والعلمانية

٣. الجمري في كلمات أمينه وخليله

٤. القدس صرخة حق

٥. إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام

٦. رؤية إسلامية حول الغربة والاغتراب

٧. كلمة الأستاذ في الذكرى الثامنة عشر للسيد أحمد

الغريفي

٨. كلمة الأستاذ في استقبال شهر رمضان

٩. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام

١٠. الدولة والحكومة

١١. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني

١٢. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول

١٣. في رحاب أهل البيت عليهم السلام

١٤. الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١. قافلة الخلود - شهداء البحرين

٢. عاشوراء البحرين ٢٠١٩

٣. كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي

٤. عاشوراء البحرين ٢٠١٨

٥. حصاد البحرين ٢٠١٧

٦. عاشوراء البحرين ٢٠١٧

٧. ذكرى استقلال البحرين بين الحقيقة والاحتلال

البديل

٨. في رحاب مدرسة الإمام الخميني ﷺ

٩. المهدوية في الفكر الولائي

١٠. الحصاد السياسي ٢٠١٦

١١. بريطانيا: تاريخ من الاحتلال والدعاء لشعب البحرين

١٢. ألم وأمل، السيد مرتضى السندي

١٣. ثورة ١٤ فبراير في البحرين خلفياتها ومجرياتها

كتب باللغة الفارسية:

١. تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور

٢. بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٣. برآستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٤. رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي

٥. گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم

٦. تاريخ سـياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)

العبد الصالح

لقد كنّا أمواتاً بالفعل وأحيانا الإمام [الخميني]. لقد كنّا تائهين وهدانا هو. لقد كنّا غافلين عن مسؤوليات الإنسان المسلم العظيمة وأيقظنا هو ودلّنا على الطريق وأخذ بأيدينا وشجّعنا وتقدّم الجميع في السّير قُدُماً إلى الأمام، نشكر الله على أنّنا صدّقنا كلامه بكلّ وجودنا وسرنا خلفه، ولم نتوقّف ولم نتركه في منتصف الطريق.

1989-7-10

صهبا
دار الوفاء للثقافة والإعلام